

ذكريات عراقية

أيام ومواقف

الأستاذ الدكتور
حازم طالب مشتاق



www.dardjlah.com

ذكريات عراقية:
أيــــام ومواقــف

ذكريات عراقية:
أيام ومواقف

تأليف

الأستاذ الدكتور حازم طالب مشتاق

الطبعة الأولى

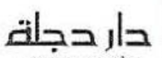
2011



- **ذكريات عراقية: أيام ومواقف**
- **الأستاذ الدكتور حازم طالب مشتاق**

الطبعة الأولى 2011

منشورات:

المملكة الأردنية الهاشمية

عمان- شارع الملك حسين- مجمع الفحيص التجاري

تلفاكس: 0096264647550

خلوي: 00962795265767

ص. ب: 712773 عمان 11171- الأردن

جمهورية العراق

بغداد- شارع السعدون

تلفاكس:0096418170792

خلوي: 009647705855603

E-mail: dardjlah@ yahoo.com
www.dardjlah.com

❖ رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2010/8/2816)

978-9957-71-183-2:ISPN

الآراء الموجودة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الجهة الناشرة

الفهرس

المقدمة

هذا الكتاب يعرف مضمونه من عنوانه. لأنه يتألف من باقة من الذكريات العراقية وسلسلة من المواقف الشخصية في القضايا العامة، ترتبط إنسانا بالمؤلف، على اختلافها وتعددها زمانا ومكانا، وتجمع خصائص السيرة الذاتية إلى معالم الحقيقة التاريخية.

الغاية الأساسية التي توخاها المؤلف في هذا الكتاب هي الدفاع الثابت الراسخ عن الذاكرة الوطنية العراقية التي تتعرض في هذه الأيام إلى هجمة شرسة محمومة رامية إلى محوها وطمسها وتمويتها. ذلك كان شغلي الشاغل وهدفي الأول. أما الغاية الثانوية التي توخاها المؤلف في هذا الكتاب فكانت أن يقدم إلى القارئ العزيز عملا يتميز بالمتعة والطرافة والفائدة في وقت واحد وعلى حد سواء.

جميع المقالات التي يضمها هذا الكتاب بين دفتيه كانت قد نشرت في الجريدة اليومية الأردنية ((العرب اليوم)) الغراء التي تصدر في العاصمة عمان. وتواريخ الأعداد وأرقام الصفحات مثبتة في هوامش العناوين. ولا يشذ عن هذه القاعدة إلا مقال واحد يأتي في فاتحة هذا الكتاب بعنوان (الحقيقية الموضوعية والمنهجية التاريخية والأمانة العلمية).

كان هذا المقال في الأصل بحثا ألقيته وناقشته قبل مغادرتي بغداد نهائيا للإقامة الدائمة في عمان بفترة قصيرة سنة ١٩٩٣. وكان ذلك في الصالون الفكري والثقافي الذي كان يعقده في داره العامرة الصديق العزيز الأستاذ الدكتور زهير عبد الرزاق محي الدين استمرارا على النهج الذي اختطه

وأرساه المرحوم الصديق العزيز والده الأستاذ الدكتور عبد الرازق محيي الدين الذي كان وزيرا للوحدة ورئيسا للمجمع العلمي العراقي في فترة حكم القوميين. وكان بين الحاضرين الأخوة الكرام مع حفظ الألقاب: خالد الدرة، وحسين جميل وعلي الوردي.

وتخبرني ذاكرتي أن علي الوردي حمل كرسيه وجلس أمام الميكروفون في قبالتي. وأتذكر أنني سألت حسين جميل: أين كان هامش الحرية أوسع، في العهد الملكي أم في العهد الجمهوري؟ فأجابني بلا تردد: بالتأكيد في العهد الملكي! ويخطر على بالي أن حسين جميل سألني: لماذا ألقيت هذا البحث؟ وماذا كان دافعك؟ فأجبته على الفور: لأنني أعتقد أن نوري السعيد قد تعرض إلى ظلم فادح وعقوق صارخ، وكان دافعي أن أعيد إليه ما يستحقه من وفاء وتقدير واحترام. وأبدى أحد الحاضرين امتعاضه واعتراضه. فانبرى له الصديق العزيز ياسين الحسيني بالرد قائلا: إن نوري السعيد شخصية تاريخية عراقية بارزة، ومن حق الباحث أن يراجع سيرته وأن يعيد النظر في شخصيته، بعد أن مرت عقود عديدة على أيامه ومواقفه وأعماله.

وقد نشر هذا البحث بالعنوان المذكور في أعلاه في مجلة (آفاق عربية) العراقية- العدد السادس- السنة الثامنة عشر- بغداد- حزيران ١٩٩٣، الصفحات ١٤٩-١٥٢.

ختاما، يسعدني ويشرفني أن أتوجه بالشكر الفائق والامتنان الجم إلى الصديق العزيز الأستاذ طاهر العدوان، رئيس تحرير ((العرب اليوم)) الذي تحولت الجريدة بفضل مواقفه السديدة وجهوده الدائبة إلى مؤسسة وطنية متميزة ومدرسة إعلامية رصينة وعلامة فارقة متألقة مضيئة.

ولولا ما أبداه من لفتة كريمة ورغبة أخوية لما خرجت هذه المقالات إلى النور ولا ظهرت إلى الوجود ولا أصبحت متاحة للقارئ الكريم.

ومن دواعي سروري واغتباطي أن أتقدم بالود الدائم والتقدير الصادق إلى دار دجلة للنشر والتوزيع، وبالأخص مديرها العام الشهم الهمام الأستاذ صاحب الزبيدي والصديق العزيز الأستاذ محمد موسى الوحش، جزاهما الله خيرا عميما وثوابا باقيا على أفضالهما المشهودة وألطافهما العديدة، ويدفعني الواجب الأدبي إلى التأكيد ختاما أن الآراء الواردة في هذا الكتاب تعود إلى كاتبها وصاحبها حصرا واقتصارا ولا تعود على الإطلاق إلى الدار التي تولت طباعتها.

أ. د . حازم طالب مشتاق

عمان في ٢٠١٠/٨/٩

- 1 -

الحقيقة التاريخية والمنهجية الموضوعية والأمانة العلمية (*)

طالعت في مجلة (آفاق عربية) العدد (٣) الصادر في آذار ١٩٩٣ بحثين متميزين لفتا نظري وأثارا اهتمامي هما على التوالي: التهديدات البريطانية بتجزئة العراق بقلم الدكتور محمد مظفر الأدهمي (الصفحات ٢٤-٢٨) والعراق والحرب العالمية الثانية بقلم الدكتور علاء جاسم محمد (الصفحات ٢٩-٣٥) .

ويليق بالمبدعين الحقيقيين والعلماء الأفذاذ الذين يعبرون حاجز الزمن ويجتازون امتحان التاريخ أن يتميزوا ببعض الخصائص والخصال ومن أهمها وأبرزها: التزام الموضوعية واحترام الحقيقة.

وقد خطرت على بالي بعض الملاحظات وهي كما يلي بالتتابع على وجه الاختصار:

أولا: أفاد الدكتور الأدهمي: (أن دراسة دقيقة لظروف هذا القرار تؤكد أنه لم يكن أمام الملك فيصل الأول والمجلس التأسيسي غير اتخاذ مثل هذا القرار في ظل ظروف صعبة... ولا شك أن أسلوب التهديد بالتجزئة وتفتيت العراق في الظرف الصعب كان له تأثيره الكبير... فكانت

(*) مجلة (آفاق عربية) – بغداد – العدد السادس- السنة الثامنة عشر- حزيران ١٩٩٣- الصفحات ١٤٩-١٥٣.

الأساليب السياسية والدبلوماسية ضرورة يحتمها واقع العراق آنذاك.. إن تلك الصلابة العراقية ذات الإطار الدبلوماسي بقيت تمثل حقيقة واقعة في السياسة العراقية في الظروف الصعبة. وكانت بريطانيا هي الطرف الذي يخلق تلك الظروف رغم أنها كانت دولة منتدبة لمساعدة العراق).

وأقول:

١. إن المهمة الأساسية الأولى للمؤرخ هي التقرير، وليست التفسير، وأن محاولة تطويع الحقائق للمصالح والطموحات، عن حق أو باطل لا فرق هي من أبرز العيوب والنقائص التي ينبغي أن يتفاداها ويتجنبها المؤرخ الموضوعي الملتزم بالنهج العلمي ما وسعه وأمكنه. وأن القياس التاريخي الخاطئ الذي لا يأخذ فوارق واختلافات ظروف الإنسان والزمان والمكان بنظر الاعتبار، يؤدي إلى صدور القرار السيئ الذي ربما كان ولا يزال من أعظم الأخطار التي تهدد مصائر الدول والأمم والشعوب والأوطان بأوخم العواقب وأفدح الأضرار. ومن أخص خصائص التاريخ أن لا يتكرر، ولا يختزن، ولا يستعاد، ونحن لا نتعلم دروس التاريخ بالمطابقة والمماثلة بل نتعلمها بالمقارنة والمشابهة.

٢. إن الدول العاقلة التي تحسب خياراتها وقراراتها حسابا موضوعيا دقيقا واعيا، تحتاج إلى السياسة والدبلوماسية في جميع الظروف والأحوال، وليس فقط في الظروف الصعبة، ولكنها تكون أحوج إليهما في الظروف الصعبة بالطبع، لأن السياسة والدبلوماسية هما الأصل والأساس، والقوة المسلحة والوسيلة العسكرية هما الشذوذ

والاستثناء. والدول التي تراعي مصالحها الحقيقية لا تلجأ إليهما ولا تستعين بهما إلى على كره واضطرار في حالات الضرورة القصوى مثل الدفاع عن النفس والرد على العدوان المادي المحسوس المباشر. بالافتراض جدلا أنها تمتلك بالفعل كفاية مطلوبة من أسبابهما وعناصرهما. فإذا لم تمتلك تلك الكفاية، كان خيارها الواحد الوحيد أن تعتمد الحيلة والمناورة والسياسة والدبلوماسية، وتحقيق ما يمكن تحقيقه بالصبر الجميل والنفس الطويل والانتقال التدريجي المرن الدائب من الأسوأ إلى السيئ فالأحسن.

وفي جميع الظروف والأحوال، فإن ما يمكن تحقيقه سلما بالتفاهم والاتفاق، وإن كان أقل، أفضل مما يمكن تحقيقه حربا بالسيف والقتال، وإن كان أكثر. لأن الدول المعنية كائنة ما كانت، تكسبه دون أن تدفع ثمنه غاليا باهظا فادحا بالمهج والأرواح والدماء والموارد والخسائر والأضرار. والمقاييس العقلانية المعتمدة في أمثال هذه الشؤون الخارجية والعلاقات الدولية هي بالتأكيد مقاييس حسابات المصلحة وموازين القوة والجداول التقريبية النسبية المحتملة للأرباح والخسائر، وليست على الإطلاق مقاييس الاعتبارات الأيديولوجية والأخلاقية والعاطفية. مهما كانت جميلة عزيزة سامية.

٣. لم تفتعل بريطانيا من الظروف للضغط على العراق وابتزازه إلا بقدر ما كان الموضوع يتعلق بالجانب الكردي. ولكن التهديد الأشد والخطر الأعظم كان يأتي حينذاك من الجانب التركي وليس من الجانب الكردي. ولم يكن هذا الجانب ظرفا افتعلته بريطانيا. ولا وهما أدخلته

في روع العراق. بل كان واقعا قائما وخطرا داهما وتهديدا حقيقيا لم يكن العراق في حينه قادرا على مواجهته ذاتيا بمفرده ولوحده. ومن الواضح أن الجانب الكردي كان الجانب الأضعف، وأن الجانب التركي كان الجانب الأقوى. ولا يمكن للعاقل أن يتوقع أن تهرع بريطانيا إلى مساعدة العراق للاحتفاظ بسيادته على ولاية الموصل مجانا ودون ثمن وبلا مقابل لوجه الله، أو التزاما بالحق، أو حبا بسواد عيون العراقيين، تلك هي حقيقة هذا العالم، مهما كانت قاسية مريرة أليمة. ولولا أن ما حدث قد حدث في تلك الظروف كما حدث. وكما وصفه الباحث وصفا حصيفا دقيقا واضحا لكانت ولاية الموصل قد ضاعت على العراق منذ ذلك الحين وإلى الأبد. وهذه هي مفارقات التاريخ. علما أن ولاية الموصل تشمل المنطقة الشمالية من العراق كلها، كما أشار الباحث وحسنا فعل. بما في ذلك محافظة الموصل ومدينة كركوك وتوابعها فضلا عن المناطق الكردية.

٤. لا يحتاج الباحث وفي وصفه وتحليله للقرار الذي اتخذه المجلس التأسيسي- وصدقه الملك فيصل الأول. إلى لغة التبرير ولهجة الاعتذار، كما حاول بالفعل جاهدا لاهثا لجوجا. وقد اثبت التاريخ في وقت لاحق أن القرار بتوقيع المعاهدة مع بريطانيا ومنحها امتياز النفط باتفاقية أخرى. كان قرارا سديدا صائبا حكيما، وثمنا زهيدا يسيرا هينا للاحتفاظ بولاية الموصل في حظيرة السيادة العراقية- لأن المعاهدة قد ألغيت في الوقت المناسب والأوان الصحيح، كما أن اتفاقية النفط قد انتهت بقرار التأميم، ولكن ولاية الموصل بقيت عراقية عربية في وطن واحد موحد يمتد من الجبل إلى البحر.

وتلك هي إشكالية أساسية مزمنة من إشكاليات السياسة فكرا وعملا في كل مكان وزمان: إشكالية العقل والقلب، إشكالية الممكن والمستحيل، إشكالية الاعتدال والتطرف، إشكالية الحكمة والعاطفة، إشكالية الواقعية والمثالية، إشكالية المرونة والصلابة، إشكالية القوة العمياء والحقيقة العزلاء، إشكالية السياسي الحاكم الداهية المحنك البعيد النظر الذي يحاور ويداور ويناور ويبني للمستقبل غير المرئي ويراعي حقوق ومصالح ومطالب جيله من أبناء جلدته دون أن ينسى الأجيال القادمة ودون أن يورثها المتاعب والمصاعب والعواقب، والوطني المتحمس المعارض المتفجر عنفوانا والملتهب إيمانا الذي لا ينظر إلى أبعد من يومه المباشر أو غده القريب في أحسن الأحوال، ويريد من السياسي الحاكم أن يحقق كل شيء بالتمام والكمال بين عشية وضحاها، بضربة سحرية واحدة، ضربة حظ أو ضربة معلم لا فرق، ولا يبالي مهما كانت التكاليف والعواقب والنتائج، فإما كل شيء أو لا شيء، وإلا وصمه ودمغه واتهمه وأدانه بالخيانة والعمالة والمساومة المتخاذلة والانتهازية الجبانة. تلك هي الإشكالية المستعصية المستحكمة التي كانت سائدة في تلك الفترة. وهي إشكالية تحتاج الآن بالذات إلى دراسة متأنية ملية ومراجعة موضوعية.

ثانيا: الدكتور علاء جاسم محمد:

ويقول الدكتور علاء: ((لم يكتف نوري السعيد بما قدمه للحلفاء من دعم مطلق، بل أصر على إرسال قوات عراقية للقتال إلى جانب الحلفاء.. وفي الوقت الذي أشاد كورنواليس بشجاعة نوري السعيد بعرض مثل هذه الفكرة، فإنه شك في نيات السعيد وتعاطفه مع بريطانيا، إذ علل ذلك برغبة

السعيد في الحصول ((على مجد أعظم للعراق)).. من جانبها فإن وزارة الحرب البريطانية اتفقت مع وجهتي نظر كورنواليس وولسون، فقد شكت في دوافع السعيد من تقديم المقترح وتظاهره بمساعدة الحلفاء، إذ رأت أن هدف السعيد هو ((أن يكون للعراق دور قيادي بين العرب في المستقبل)).

وأقول: أن هذا السبب نفسه بالذات قد دفع برشيد عالي الكيلاني للانضمام إلى دول المحور وخصوصا الرايخ الثالث بزعامة هتلر، فضلا عن أسباب أخرى لا مجال الآن للخوض فيها والتعرض لها، وقد أشار الباحث إلى بعضها أو معظمها.

اختلفت مواقف وحسابات السعيد والكيلاني في المضمون والاتجاه. ولكن الأهداف كانت واحدة، والنوايا كانت مشتركة. وقد أراد الكيلاني أن يضمن حقوق العرب إذا انتصرت ألمانيا في الحرب العالمية الثانية كما كان متوقعا على أوسع نطاق حينذاك، وأن يحقق للعراق مركزا ممتازا في ترتيبات السلام التي ستأتي لاحقا. ولكن هذا القياس لا يمكن أن يكون صحيحا إلا إذا أخذها بنظر الاعتبار الفارق في السوابق والخلفيات والأهداف المعلنة بين موقفي ألمانيا وبريطانيا من العرب والعروبة والأمة العربية وحقوقها ومصالحها ومطالبها. وعلى كل حال أعتقد أن الأوان قد حان، وأن مدة كافية من الزمن قد مرت على تلك المواقف والوقائع والأحداث، وأصبح من الممكن الآن أن ندرسها في ضوء المنهجية الموضوعية المحايدة والأمانة العلمية المتجردة والحقيقة التاريخية النزيهة، دون حكم مسبق وتعصب مطلق وعقل مغلق.

٣. يقول الباحث الكريم: (ومن المفيد أن نذكر هنا أن نوري السعيد كان على يقين تام بأن الولايات المتحدة الأمريكية ستنضم إلى جانب بريطانيا وفرنسا في الحرب، وأن الاتفاق السوفيتي- الألماني سينهار- وأن الحرب ستنتهي باندحار ألمانيا).

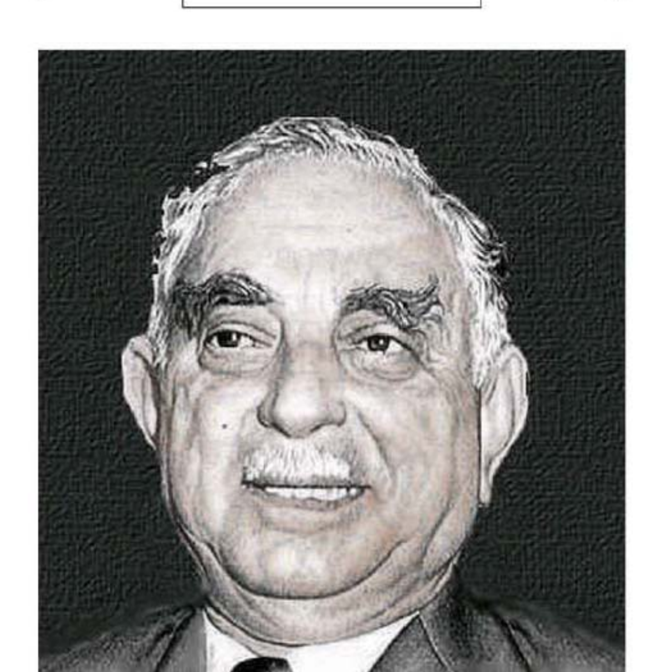
وأقول: راهن السعيد على انتصار الجانب الحليف في الحرب العالمية الثانية، وراهن الكيلان يعلى انتصار المحور الألماني- الإيطالي- الياباني في تلك الحرب. وكان رهان السعيد رابحا، كما كان رهان الكيلاني خاسرا، لأسباب عديدة مختلفة لا مجال الآن للدخول إلى تفاصيلها ودقائقها وخفاياها.

وأثبت التاريخ في وقت لاحق أن السعيد كان أدق حسابا وأبعد نظرا وأصوب حكما وأصح تقديرا وأسلم رأيا. ولكن الكيلاني أيضا كان معذورا، وكان محكوما بظروف قاهرة وضغوط عاتية، من أبرزها وأهمها: قيام بريطانيا بعدوان عسكري مسلح مباشر على العراق، وإصرارها على احتلاله احتلالا حقيقيا كاملا.

حاول الكيلاني أن يصل إل اتفاق مشرف وتفاهم مقبول مع الإنكليز. ولكن بريطانيا أغلقت جميع الأبواب في وجهه، وحاصرته في ركن ضيق، وحرمته تماما من حرية الحركة السياسية وفرصة المفاوضة الدبلوماسية وفسحة المناورة بالمطالب والمصالح. فما أن وقع العدوان البريطاني، حتى وجد العراق نفسه في عهد حكومة الدفاع الوطني برئاسة الكيلاني ملزما بالانضمام إلى الطرف الآخر في الحرب العالمية الثانية، ومضطرا على طلب العون الألماني.

ولكن الفئات والعناصر القومية والوطنية حينذاك لم تصف موقف السعيد في حينه بالذكاء السياسي، ولم تفسره بالنظر البعيد كما كان يليق وينبغي أن تفعل، بل وصفته بالعمى السياسي في أحسن الأحوال. وفسرته بالدعم المطلق أو التأييد المسبق غير المتحفظ وغير المشروط، للجانب الحليف دون الحصول على ضمانة واضحة أو استجابة صريحة للحقوق والمصالح والمطالب العراقية والعربية. وأعتقد الآن أن تلك الفئات والعناصر كانت تطالب السعيد من جهة والكيلاني من جهة أخرى، بتحقيق مالا يطيقه الوضع وما لا يتيحه الواقع، وما لا يبيحه بركان الحرب الذي كان هائجا يقذف بحممه على الجميع في كل اتجاه. وللإنصاف أيضا نقول: لو أن أحدا في تلك الأيام من عامي ١٩٤٠ و ١٩٤١ والجيوش الألمانية تندفع إلى كل صوب لا تلوى على شيء، وتصل إلى كل مكان لا تتوقف ولا تتراجع، كان قد زعم أن الرايخ الثالث سينهار وأن آلته الحربية الجبارة ستندحر وأن هتلر سينتحر، لما تردد العقلاء والخبراء في اتهامه بالجنون المطبق، ولكن هذا ما حدث بالفعل، وكان ما كان كما يعرف كل إنسان. وأثبت التاريخ بما لا يدع مجالا للشك أن تحليل نوري السعيد كان سديدا وأن رأيه كان صائبا.

وعلى هذا النحو نكون قد وصلنا الآن في هذه الملاحظات إلى فصل المقال ومسك الختام، وأرجو من الباحثين الكريمين أن يتقبلا أطيب تحياتي وتمنياتي.



نوري باشا السعيد - رئيس وزراء عراقي ومن أبرز ضباط الثورة العربية الكبرى-(١٨٨٨-١٩٥٨)

-٢-

نوري السعيد(*)

عندما فاتحني الصديق العزيز طاهر العدوان عن رغبته في أن أكتب سلسلة من المقالات الأسبوعية عن ذكرياتي المشحونة بالشخصيات البارزة والمواقف الصعبة أو الطريفة، ترددت في البداية لأسباب تتعلق بضيق الوقت وضغط العمل، ثم وافقت في النهاية، عملا بالمثل القائل ((لا يرد الكريم إلا اللئيم)) وحرصا على الذاكرة الوطنية للأجيال العراقية والعربية الجديدة والقادمة.

كان نوري السعيد رئيس الوزراء العراقي في العهد الملكي الذي اغتيل غيلة وغدرا في ذيول الأحداث التي وقعت صبيحة ١٤/ تموز/ ١٩٥٨، أول اسم خطر على بالي وجال في ذهني، لأسباب عديدة منها ما يتعلق بالدور الذي لعبه والأثر الذي تركه في بلده وعصره ومنها ما يتعلق بتعرضه حيا وميتا إلى ظلم فادح وجحود مشين، ومنها ما يتعلق بشخصيته المثيرة المتميزة الفذة المتعددة المواهب والجوانب، حتى أن سيرته يمكن أن توصف بأنها أسطورة تراجيدية مذهلة من طراز الأساطير اليونانية القديمة.

ويروي المرحوم والدي طالب مشتاق في أوراق أيامه عن نوري السعيد ((أن ثمة صداقة كانت تربط بين عائلتينا وكان والدي صديق والده وأمه المرحومة صديقة جدتي ((من ناحية والدتي)) وأمه هي التي خطبت

(*) العرب اليوم- عمان- الأربعاء ٢٠٠٩/٠٥/٢٧ ص٩.

أمي لوالدي)). وتعود بي الذاكرة إلى الوراء في الزمن: المكان لندن، والوقت صبيحة ذات يوم من أواخر سنة ١٩٥٧، وكنت في حينها أتمتع ببعثة رسمية للدراسة في جامعة أكسفورد وكنت أحضر أحيانا إلى العاصمة البريطانية للقيام ببعض المراجعات في السفارة العراقية وكان من عادتي أن أزور الوزير المفوض طارق بيك ابن المرحوم جعفر باشا العسكري للسلام والتحية، وتعبيرا عن الامتنان واعترافا بفضله في الجهد المشكور الذي بذله من أجل التحاقي بجامعة أكسفورد وأفضال عديدة أسبغها والده على والدي طوال سنين متعاقبة.

بادرته بالتحية، فأجابني بلطف وأشار علي بالجلوس وخاطبني قائلا: ((الباشا ((نوري السعيد)) موجود الآن في السفارة وقد بلغه أنك قد حضرت ويريد أن يقابلك)) فاجأني هذا الطلب وانتابتني الهواجس وتناهبتني الظنون، وصرت في حيرة من أمري، الباشا يريد أن يقابلني؟ لماذا يريد الباشا أن يقابل شابا لم يبلغ الثلاثين من عمره ولا يزال يواصل دراسته؟ كنت في صباي قد التقيت نوري السعيد بصحبة والدي في مناسبات عديدة لكنني لم أتعرف عليه شخصيا ولم ألتقيه فيها مقابلة وجاهية شخصية مباشرة. ولم أعلم حينذاك أنها ستكون المرة الأخيرة أيضا.

سرت وراء طارق بيك ويدي على قلبي، فتح باب مكتب السفير وأفسح لي المجال كي أدخل فدخلت وكان نوري السعيد جالسا على كرسي في وسط الغرفة، وإلى جانب كرسيه كرسي آخر، وبينهما طاولة صغيرة، رفع الباشا رأسه وأشار بيده متسائلا من أكون: فأجابه طارق بيك بصوت عال: ((هذا حازم ابن طالب مشتاق)). فتهللت أساريره وأومأ بيده إن

اجلس فجلست على الكرسي الفارغ. وشعرت بالارتياح والاطمئنان. ولاطفني بعبارات ودية وسألني عن حياتي في بريطانيا ودراستي في أكسفورد. كانت يده ترتجف قليلا وكان يضع على عينيه نظارتين وعلى أذنيه سماعتين، وأمر بالشاي والقهوة، وبعد فترة من الوقت بادرني بالقول: ((ابني حازم كان أبوك ذات يوم شابا متحمسا ومندفعا، كان يسبني ويشتمني ثم كبر وعقل، ونحن اليوم من أصدق الأصدقاء. فهل أنت الآن تسبني وتشتمني؟)).

صدمني هذا السؤال ولم أعرف كيف أجيب وماذا أقول.لو قلت نعم: فإنني أخاف أن أخسر دراستي وأفقد بعثتي في سورة غضب وفورة انفعال. ولو قلت لا: فإنه سيدرك فورا أنني أكذب، لأنني كنت قد ملأت الدنيا صخبا وضجيجا في معاداته بمقالات صحافية وخطابات جماهيرية ومظاهرات طلابية، وسأسقط من نظره ونظر نفسي إلى الأبد. بقيت صامتا ولم أنبس ببنت شفة، ولم تتغير نبراته ولا أساريره، بل واصل حديثه قائلا: ((ابني حازم، عندما تخرج من عندي الآن، أريدك أن تذهب مباشرة إلى يوسف بيك (يوسف بيك الكيلاني الوكيل الدائم للخارجية العراقية)، وتتفاهم معه بشأن عملك في وزارة الخارجية بمجرد أن تنتهي من دراستك. لأننا نريد شبابا مثقفا من أمثالك في السلك الدبلوماسي)).

مضت الآن فترة طويلة تزيد على نصف قرن من الزمان على هذه المقابلة، لكن تفاصيلها انطبعت في ذهني كأنها صورة فوتوغرافية وكأنها لم تحدث إلا بالأمس فقط. وعندما أنظر الآن إلى الوراء، أجزم يقينا بأنني لو أجبت في حينه على سؤاله بنعم، لما غضب ولا انفعل بل ربما كان سيبتسم

ويقول: ((ستكبر وتعقل، لكن أليس من الأفضل أن تعقل الآن بدلا من أن تنتظر حتى تكبر؟)).

لم يزجني نوري السعيد في السجن، ولا ساقني إلى حبل المشنقة أو ساحة الإعدام، بل حتى لم يحرمني من دراستي وبعثتي، لكن عشر معشار ما قلته عن نوري السعيد رئيس الوزراء، لو قلته عن الذين أتوا بعده إلى سدة الحكم، ما عدا المغفور له الرئيس عبد الرحمن عارف، لكان نصيبي المحتوم ومصيري المقسوم ليس شيئا آخر سوى التعذيب البربري والموت الأكيد.

كان نوري السعيد سياسيا حكيما، وعراقيا عظيما، وبغداديا أصيلا، ونحن اليوم نعرف قدره ونعطيه حقه بعد مماته، كما نفعل دائما وأبدا مع عظمائنا الكبار ومفكرينا العمالقة. ويا ليتنا عرفنا قدره وأعطيناه حقه في حياته، كما ينبغي أن تفعل الأمم الحية الناهضة التائقة إلى البقاء والبناء والارتقاء.



د. عبد الرحمن البزاز – مفكر قومي ورئيس وزراء عراقي سابق-

(١٩١٣ - ١٩٧٣)

-3-

عبد الرحمن البزاز في الذاكرة الوطنية العراقية(*)

إذا لم يتصالح العراقيون من أبناء هذا الجيل مع أنفسهم ومع تاريخهم الحديث وماضيهم القريب في القرن العشرين، فلن يكون لديهم أي مستقبل على الإطلاق. وإذا لم يرتفع العراقيون فوق الاصطفافات التقليدية والشعارات القديمة والأحقاد الدينية والطائفية والأيديولوجية المتبادلة على اختلافها وتعددها، فأقرأ عليهم وعلى بلادهم وتراثهم وتاريخهم السلام، وستتحول المواطنة العراقية إلى عبارة جغرافية فارغة سخيفة وجماعة من البشر ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءت بغضب من الله شديد.

الاحتلال الأمريكي في سنة ٢٠٠٣ كان لحظة حاسمة ومرحلة جديدة في مسيرة العراق التي بدأت بسومر قبل خمسة آلاف سنة، وكانت بداية للتاريخ الإنساني الجلي المعروف، ولم يعد بوسعنا ولا من حقنا أن نفكر ونعمل ونتصرف بعد الاحتلال كما كنا نفكر ونعمل ونتصرف قبل الاحتلال، كأننا لم نتعرض وطنا وشعبا إلى زلزال مدمر رهيب، وكأن شيئا لم يحدث أو يتبدل مما يلزمنا أن نراجع تاريخنا الحديث وماضينا القريب في

(*) العرب اليوم- عمان- الأربعاء ٢٠٠٩/٠٧/٠٨ ص١٠.

القرن العشرين مراجعة هادئة موضوعية عقلانية في ضوء المستجدات الكارثية والدروس المستفادة.

الأمم تحيا ليس فقط بما تتذكره وتستحضره، ولكن أيضا بما تتناساه وتستبعده، وفي كثير من الأحيان تتناسى الأمم قليلا من القديم الذي يمزق بنيانها وكيانها كي تتعلم ما تحتاجه من الجديد الذي يشد أزرها ويقيلها من عثرتها ويعيدها إلى توثبها وعنفوانها، وهذا التصور الواضح والاستقراء الدقيق هما السببان اللذان دفعاني مؤخرا إلى الكتابة عن ذلك العملاق العراقي في العهد الملكي نوري السعيد ويدفعني الآن إلى الكتابة عن ذلك القديس القومي الذي تحمل أقسى العذاب بصبر وإيمان وجلد عبد الرحمن البزاز أول رئيس وزراء عراقي مدني في العهد الجمهوري.

في سنة ٢٠٠٦ ترجمت من الإنجليزية إلى العربية كتابا بعنوان (لكي نفهم العراق) من تأليف الدبلوماسي الأمريكي وليام بولك بناء على اتفاق مع الصديق العزيز الأستاذ ماهر الكيالي مدير عام المؤسسة العربية للدراسات والنشر بتكليف من الدكتور المهندس عبد الحي زلوم.

ولاحظت عبارة وردت في الكتاب (الفصل الرابع المعنون- العراق الثوري- ص١٥٣) مفادها أن الرئيس عبد السلام عارف قد اختار محاميا (هكذا حتى دون ذكر الاسم) ليكون رئيسا للوزراء في سنة ١٩٦٥. وتحفظت على هذه العبارة بهامش طويل في أسفل الصفحة وأوضحت أن

البزاز لم يكن مواطنا عاديا أو محاميا مغمورا اختير اعتباطا. بل كان شخصية معروفة بماضيها الحافل العريق ذات مكانة مرموقة في الأوساط العراقية والعربية والدولية ويتمتع بخبرة واسعة وتجربة طويلة في الشؤون السياسية والعلاقات الدولية.

كان أستاذا في القانون وعميدا لكلية الحقوق وعميدا لمعهد الدراسات العربية العليا في جامعة الدول العربية الذي أسسه العلامة خالد الذكر أبو خلدون ساطع الحصري، وكان سفيرا للعراق في القاهرة ثم في لندن ومندوبا عن وطنه في منظمة الأوبك. وكان فضلا عن ذلك مفكرا قوميا بارزا تحتل أعماله أمكنة رفيعة في رفوف المكتبات. ومن أهم وأشهر أعماله السياسية: الدولة الموحدة والدولة الاتحادية، القاهرة ١٩٦٦- العراق من الاحتلال إلى الاستقلال (محاضرات ألقيت في معهد الدراسات العربية في القاهرة)ن بغداد ١٩٦٧، صفحات من الأمس القريب، بيروت ١٩٦٠- أبحاث في القومية العربية (محاضرات ألقيت في كلية الحقوق بجامعة القاهرة)، القاهرة ١٩٦١، ومن وحي العروبة، القاهرة ١٩٦٣.

وهذا غيض من فيض، وقليل من كثير، إضافة إلى العديد من الدراسات والأبحاث القانونية المتخصصة التي يضيق المجال عن تعدادها في هذا المقام.

ثمة صداقة مستمرة حميمة طويلة الأمد كانت تربط والدي طالب

مشتاق بعبد الرحمن البزاز، وكانا معا في معتقلات الفاو والعمارة وسواهما بعد قيام حكومة الدفاع الوطني بزعامة رشيد عالي الكيلاني في سنة ١٩٤١ ونشوب الحرب العراقية- البريطانية ودخول الإنجليز إلى بغداد الذي يسميه المؤرخون العراقيون بالاحتلال الثاني، قياسا على الاحتلال الأول الذي وقع في سنة ١٩١٧ والاحتلال الثالث الذي وقع في سنة ٢٠٠٣.

وعندما حدثت حركة ١٨ تشرين الثاني في بغداد سنة ١٩٦٣، استدعاني العميد الركن عبد الكريم فرحان الذي كان وزيرا للثقافة والإرشاد، وكان من قادة تلك الحركة وأراني رسالة بخط اليد من البزاز الذي كان حينذاك سفيرا للجمهورية العراقية في لندن يطلبني فيها بالاسم الصريح شخصيا كي أكون بمعيته مسؤولا عن الشؤون الصحافية والإعلامية. فوافقت فورا من دون تردد، وذهبت بالفعل، وبقيت هناك حتى الخامس الأسود المشؤوم من حزيران سنة ١٩٦٧، الذي لا يضاهيه في اسوداده إلا التاسع الأسود المشؤوم من نيسان سنة ٢٠٠٣، وفي سياق نشاطي المتعدد الجوانب والاتجاهات كانت الخارجية البريطانية تستدعيه في كثير من الأحيان للاحتجاج على بعض أعمالي، وكان السفير البزاز يحميني من الأذى ويبعدني عن مواطن ومكامن الخطر. وفي تلك الفترة اختار البزاز بنفسه عددا من أبحاثه عن القومية العربية، فتولينا ترجمتها إلى اللغة الإنجليزية في الدائرة الصحافية وأصدرناها في كتاب كتبت مقدمته قمنا

بتوزيعه على أوسع نطاق في المملكة المتحدة. وما زلت أحتفظ بنسخة عزيزة من هذا الكتاب في مكتبتي ببغداد. وذات يوم من سنة ١٩٦٥، استدعاني البزاز إلى مكتبه على انفراد وقال لي: ابني حازم، أصبحت اليوم ترتقي المنابر وتلقي المحاضرات وحان الأوان أن تتزوج، هذه إجازة رسمية لمدة أسبوعين، وهذه بطاقة السفر بالطائرة إلى بغداد، وهذه رسالة شخصية مني إلى صديقي والدك، فسافر على بركة اللـه، وارجع متزوجا، وستلقى مني كل ترحيب واستحسان. وهكذا كان.

وعندما عدت وزوجتي السيدة ليلى إسماعيل العريان المديرة بالبنك المركزي العراقي أقام البزاز وليمة كبرى في حدائق دار السفير، ووزع بطاقات دعوة مطبوعة من السفير وعقيلته، على حشد كبير من المدعوين رجالا ونساء، احتفالا بزواج الملحق الصحافي، وما زلت أحتفظ بواحدة من تلك البطاقات في مكتبتي ببغداد، اعتزازا بتلك الذكرى الحميمة واعترافا بفضل عبد الرحمن البزاز.

في وقت لاحق من سنة ١٩٦٥ أصبح البزاز رئيسا للوزراء. وفي سنة ١٩٦٦ فقد البزاز نصيره الثابت وظهيره القوي في أعلى قمة هرم السلطة بوفاة رئيس الجمهورية المشير الركن عبد السلام عارف في حادث سقوط واحتراق المروحية التي كانت تنقله من البصرة إلى بغداد، وأصبح البزاز بحكم منصبه رئيسا للجمهورية بالوكالة، وفي اجتماع عقد في تلك الفترة

تألبت عليه وتصدت له شرذمة من العسكريين الفاسدين، وأحمد الله أن المغفور له الرئيس عبد الرحمن عارف لم يكن منهم. وأحمد الله أيضا أن أحدا من الضباط القوميين والناصرين الشرفاء لم يكن منهم، واختار البزاز أن يتنازل مفضلا الانسحاب بدلا من موقف قد يؤدي إلى إزهاق العديد من الأرواح وإهراق الكثير من الدماء، في تلك السنة أي ١٩٦٦ استقال البزاز. كان البزاز في مشروعه السياسي يتوخى أن يعيد العراق إلى الحكم المدني والنظام البرلماني الديمقراطي وأن يرجع الجيش إلى ثكناته ويتخلى العسكريون عن السياسة ويتركوها للسياسيين وأن ينصرفوا إلى شؤون التدريب والتسليح والتطوير باعتبارهم جيشا وطنيا مهنيا وأن يتعلم العراقيون كيف يتداولون السلطة سلميا، وأن يتمتع الشعب بالحقوق الدستورية والحريات الديمقراطية في جو من الطمأنينة والاستقرار والازدهار وسيادة القانون.

بعد الخامس الأسود المشؤوم من حزيران ١٩٦٧ عدت إلى بغداد وأصبحت رئيسا للتحرير في كبرى جرائد العراق في تلك الفترة، وهي جريدة ((الثورة)). وفي ١٩٦٧/١٢/٢٧ قدم البزاز مع مجموعة من أبرز الشخصيات العراقية مذكرة إلى رئيس الجمهورية بالمعنى العام للمشروع السياسي الذي عرضناه كما في أعلاه، يطالبون فيها بتأليف وزارة انتقالية. وكان أول اسم من الموقعين اسم عبد الرحمن البزاز، وكان ثاني اسم بعد

البزاز اسم طالب مشتاق، وفي اليوم التالي ظهرت جريدة الثورة يتصدر صفحتها الأولى مقال افتتاحي يشن هجوما عنيفا على المذكرة وأصحابها، يحمل توقيع رئيس التحرير حازم طالب مشتاق، اعترف الآن بلا تردد أن ذلك المقال لا يشرفني أبدا وأن عبد الرحمن البزاز وطالب مشتاق كانا يستحقان مني موقفا أفضل من ذلك الذي اتخذته في المقال. وأجد من واجبي للأجيال الجديدة والقادمة أن أعترف أيضا أنني كتبت ذلك المقال مدفوعا بالوطنية الساذجة الانفعالية المتشنجة والأيديولوجية المتعصبة الحقودة العمياء.

في سنة ١٩٦٩ تعرض عبد الرحمن البزاز إلى الاعتقال وفي سنة ١٩٧١ أطلق سراحه وخرج من السجن هيكلا عظميا لا يقوى على النطق والحراك ولكنه يبصر ويسمع. وسجي على فراش في مواجهة باب داره القريبة من داري في محلة راغبة خاتون من الأعظمية ببغداد وكان الزائرون يتقاطرون على داره زرافات ووحدانا، ويدخلون من الباب فرادى فيحيونه وينظر إليهم ثم يجلسون على كرسي من الكراسي المصفوفة في قاعة واسعة بجانب مدخل الدار. كانت هذه آخر مرة أرى فيها البزاز حيا، دخلت وبادرته التحية والتقت عيناي بعينيه وفهمت ما أراد أن يقول وفهم ما أردت أن أقول، وكانت عيناي تقولان بالدموع ما يعجز اللسان عن قوله بالكلمات.

وفي سنة ١٩٧٣ توفي البزاز بعد صراع طويل ومرير مع علة غامضة أصابته في السجن، نال عبد الرحمن البزاز من بعض أبناء جلدته ما يناله كل عظيم حقيقي يظهر بين ظهرانيهم، فيمعنون في إيذائه ويذيقونه ألوانا من العذاب تبدأ ولا تنتهي بالتجريح والتشهير وتلويث السمعة وتمريغ الكرامة في الوحل.

حتى إذا اكتشفه الآخرون من بني قومه من غير العراقيين، وأحبوه واحترموه وأكرموه، شعر هؤلاء المتصيدون في الماء العكر بقلق بالغ وحرج شديد، فإذا مات مغمورا أو مقهورا أو مغدورا، فرك هؤلاء أيديهم فرحا وارتياحا واستحسانا، وحمدوا طالعهم الباسم وحظهم السعيد على خلاصهم من هذا الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس.

سيبقى عبد الرحمن البزاز نجمة هادية وشعلة مضيئة ومنارة رائدة للأجيال الجديدة والصاعدة والقادمة مهما أفسد المفسدون وأرجف المرجفون وكره الكارهون.



الدكتور ستيفن بنروز - رئيس الجامعة الأمريكية في بيروت الخمسينات

(١٩٥٤ - 1908)

-4-

ستيفن بنروز... رئيس الجامعة الأمريكيه* في بيروت الخمسينيات(□)

إذا كانت هناك جامعة واحدة معينة بالذات شملت بمآثرها الجمة جميع جوانب الحياة العربية من علم وطب وهندسة وأدب وفكر وفن وسياسة وامتدت أنوارها المضيئة إلى كل أرجاء وأنحاء بلاد العروبة على اختلاف وتعدد شعوبها وأقطارها، فتلك الجامعة بلا ريب وبلا منازع هي الجامعة الأمريكية في بيروت.

وقد أمضيت فيها 4 من أسعد سنوات عمري (1948-1952) وما زلت احتفظ بأعز وأجمل الذكريات عن حرمها الجامعي الرائع وموقعها الطبيعي الساحر المطل على البحر الأبيض التوسط.

وشهدت هيئاتها التدريسية وكلياتها العلمية كوكبة من ألمع الأساتذة العرب، ومن أبرزهم مع حفظ الألقاب الأكاديمية والرتب الجامعية: قسطنطين زريق، شارل مالك، نبيه أمين فارس، نقولا زيادة، سيسل حوراني، اسحق موسى الحسيني، أنيس فريحة محمد توفيق حسين.

وفي وقت لاحق عبد العزيز الدوري، وكان من خريجيها قادة الرأي وزعماء الأحزاب ورؤساء الحكومات والعلماء والوزراء والسفراء والأدباء والشعراء والمفكرون في الأقطار العربية.

(*) العرب اليوم- عمان- الأربعاء الموافق: 2009/07/15 ص24.

أقطارهم مع حفظ الألقاب: من فلسطين: جورج حبش، وديع حداد، سمير صنبر، شفيق الحوت، نهاد هيكل، صالح شبل، فيصل صبحي الخضرا. ومن سوريا: هاني الهندي، عاطف دانيال، ثابت المهايني، عماد حراكي، رياض الأزهري. ومن الكويت: أحمد الخطيب، ومن البحرين: علي فخرو، ومن الأردن: جمال الشاعر، ومن لبنان: خليل حاوي، منح الصلح، سليم الحص، معن كرامي، عمر كرامي، الياس سابا، محمد عطا الله، نديم نعيمة، نعيم رفقة.

وفي وقت لاحق بشير الداعوق، فؤاد السنيورة، ومن العراق: مسارع الراوي، حمد دلي الكربولي، هشام إبراهيم الشاوي، حازم طالب مشتاق، سعدون حمادي، حازم جلميران، باسل رؤوف الكبيسي، حامد الجبوري، سامي الجليل.

وكان ملتقانا الاجتماعي في مطعم فيصل مقابل الباب الرئيسي للجامعة، وكان نادينا السياسي في رحاب جمعية (العروة الوثقى) الجمعية القومية العربية في الجامعة الأمريكية في بيروت كما ورد اسمها الرسمي.

وكان عبد المحسن قطان رئيس تحرير مجلة (العروة الوثقى) وكنت عضوا في اللجنة القومية بهيئة التحرير مع الأخوين سعدون حمادي وعلي فخرو.وكنت في كثير من الأحيان وزملاء آخرون ممن ذكرتهم بالاسم نحل ضيوفا غير مكرمين في سجن الرمل.

كان ستيفن بنروز في تلك الفترة رئيسا للجامعة الأمريكية في بيروت. وكان رجلا قصير القامة نحيف البنية. ولكنه كان مهيب الطلعة قوي

الشخصية.

كنت أمشي في الحرم الجامعي (الكامبوس) ذات يوم من سنة ١٩٥٢ فرأيت عبد الحميد شومان يمشي على مسافة قريبة مني، وإلى جانبه ستيفن بنروز، وكان عبد الحميد شومان صديقا قديما وعزيزا من أصدقاء والدي طالب مشتاق. فتوجهت إليهما، واقتربت منهما، وبادرتهما بالسلام المقرون بالاحترام، والتفت عبد الحميد شومان إلى ستيفن بنروز وقال له: هذا حازم ابن صديقي العزيز طالب مشتاق، وأرجو أن ترعاه وتعتني به. فأجابه ستيفن بنروز قائلا: سأكون شاكرا وممتنا لكم يا مستر شومان لو طلبتم من حازم أن يرعاني ويعتني بي.

وأوضح له السبب في هذا الطلب الغريب.

كنت في كل ليلة، ليلة بعد ليلة من دون انقطاع أقود مظاهرة طلابية ليلية إلى مسكن المستر بنروز في الحرم الجامعي، ونحتشد بقربه، ونهتف بصوت واحد (داون بنروز) لوقت غير قصير من الزمن، ولفت نظري في حينه أن بنروز لم يعاقبني بأي شكل من الأشكال، لا بالتنبيه ولا بالإنذار ولا بالفصل. ولكني لم أعر هذا الموضوع أي اهتمام في ذلك الوقت.

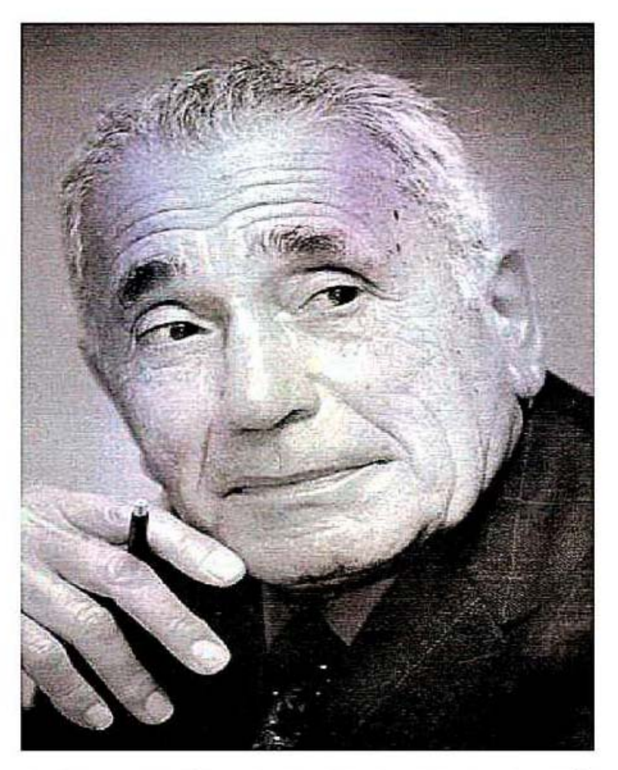
ودارت الأيام، وتعاقبت السنون، وإذا بي أجد نفسي في ثمانينيات القرن العشرين وبالتحديد في الفترة ((١٩٨٢-١٩٨٣)) أستاذا زائرا في جامعة كاليفورنيا بمدينة لوس أنجيليس، وحدث ذات يوم أن كنت أبحث عن مرجع معين في مكتبة الجامعة، فوقعت يدي بالمصادفة المحضة على مجموعة كاملة من خطابات ومحاضرات ومقالات ستيفن بنروز في أواخر

الأربعينيات وأوائل الخمسينيات دفاعا عن الأمة العربية وقضية فلسطين كأن القدر أرادني أن اكتشف الحقيقة ولو متأخرا.

كانت صدمة نفسية مريعة أعقبها إحساس عميق بالذنب، وشعور جارح بالتقصير الفادح، وأدركت أن الرجل كان يتألم صامتا ويسكت صابرا ويعاني محتسبا تلك المفارقة المحزنة: صديق نصير للعرب يعامله شباب من العرب معاملة الخصم الشرير والعدو اللدود، أسفت وحزنت وتألمت، وندمت ندما مريرا. ولكن لات الساعة مندم بعد وقوع القضاء وفوات الأوان.

واعترف الآن أنني كنت مدفوعا في ذلك الحين بالوطنية الساذجة الانفعالية المتشنجة والأيديولوجية المتعصبة الحقودة العمياء التي لا تميز الخيط الأسود من الخيط الأبيض، والغث من السمين، والعدو من الصديق، وتعتبر أن كل أمريكي لابد أن يكون بالضرورة القاهرة والحتمية الأكيدة عدوا للأمة العربية.

واكتشفت في وقت لاحق أن هنالك ملايين من الأمريكيين الطيبين الذين لا يظاهرون الظلم ولا يكيدون للحق. رحم الله ستيفن بنروز الذي تهجمت عليه، وأسأت إليه، في خمسينيات القرن العشرين بوصفه عدوا، واكتشفت في ثمانينيات القرن العشرين انه كان صديقا. وهذا درس مستفاد ينطوي على عبرة واضحة وحكمة مشهودة، أقدمه بتواضع وإخلاص إلى الأجيال الجديدة والصاعدة والقادمة من أبناء الرافدين والأمة العربية، لعلها تتبصر وتتفكر وتتدبر.



الأستاذ محمد حسنين هيكل - وزير الإعلام ورئيس تحرير الأهرام في الجمهورية العربية المتحدة - (١٩٢٣ -)

-5-

صفحة من تاريخ الصحافة العربية(*)

مع هيكل في جريدة (الثورة)

رجعت من عملي الدبلوماسي في لندن بعد الخامس الأسود المشؤوم من حزيران ١٩٦٧ إلى عملي الصحافي بوزارة الثقافة والإرشاد في بغداد، وكان الأستاذ الدكتور مالك دوهان الحسن وزيرا لها والمرحوم طاهر يحيى رئيسا للوزراء والمغفور له عبد الرحمن عارف رئيسا للجمهورية. ولم تمض فترة قصيرة نسبيا من الزمن على عودتي حتى وجدت نفسي أمام عرض رسمي بأن أكون رئيس تحرير كبرى جرائد العراق في ذلك الوقت جريدة (الثورة).

لم أفكر طويلا ولم أتردد كثيرا. وافقت على العرض موافقة مشروطة، وبدأت على الفور في تشكيل فريق من الصحافيين الشبان القوميين والتقدميين الذين سيعاونونني في إصدار الجريدة. واخترتهم بنفسي فردا فردا. وكان المقياس الوحيد الذي أخذته اعتماد التفوق المهني والتميز

(*) العرب اليوم- عمان- الأربعاء ٢٠٠٩/٠٧/٢٢ ص٢٤.

المسلكي. ولم يكن لدي أدنى اهتمام قطعيا بالانتماء الحزبي السياسي سوى الاتجاه الوطني والقومي العام. وكان من أهم وأبرز شروطي أن أكون حرا في اختيار هيئة التحرير الجديدة وأن تعتبر هيئة التحرير القديمة لاغية، وأن يستبدل اسمها من (الثورة العربية) إلى(الثورة). لأنني أردت أن اقطع الصلة بعهدها السابق وأبدأ بداية جديدة واعدة. كانت(الثورة العربية)جريدة هزيلة فاشلة ترمى رميا على طاولات الموظفين في الدوائر الرسمية. وأصبحت(الثورة) جريدة جريئة شعبية رائجة بأقلامها الشابة ومواقفها التقدمية وخصائصها المهنية المتطورة.

استكتبت أقلاما معروفة بارزة من مختلف الأقطار العربية أسعدني أن تلتقي على صفحات (الثورة). وكان لدي حلم عزيز، أصبح شغلي الشاغل ولازمني ملازمة الظل. بان أنشر المقال الأسبوعي (بصراحة) الذي يكتبه الأستاذ محمد حسنين هيكل يوم الجمعة في وقت متزامن واحد في (الثورة) مع جريدة (الأهرام) في القاهرة، وعندما استجاب هيكل سريعا إلى هذا الرجاء، شعرت كأنني في عيد حقيقي من أجمل وأسعد الأعياد، كنا ندفع مكافأة رمزية زهيدة لقاء المقال حفظا للمظاهر والشكليات. ولم تكن هناك أية اعتبارات مالية على الإطلاق لدى الأستاذ هيكل، بل كانت موافقته عملا قوميا خالصا ودعما وتشجيعا للجريدة وهيئة تحريرها في بغداد.

كان المقال يصلنا يوم الأربعاء في الحقيبة الدبلوماسية للجمهورية العربية المتحدة، ونشتغل على توضيبه وإخراجه مساء الأربعاء ونهار الخميس وننشره يوم الجمعة، حيث يباع عدد جريدة (الثورة) كاملا، ولا تتبقى منه نسخة واحدة على رفوف أكشاك الصحف. وأفاد هيكل ذات مرة أن العناوين التي تستخرجها جريدة (الثورة) في بغداد من مقاله الأسبوعي أفضل حتى من العناوين التي تستخرجها جريدة (الأهرام) في القاهرة.

نشر مقال هيكل في (الثورة) أزعج الأستاذ سعيد فريحة صاحب جريدة (الأنوار) اليومية في بيروت، الذي كان قد تعاقد معه على نشر مقاله الأسبوعي (بصراحة) يوم الجمعة في بيروت.

وسبب انزعاجه أن عدد يوم الجمعة من الأنوار يصل من بيروت، إلى بغداد يوم السبت فيباع على أوسع نطاق بسبب مقال هيكل، ولكن بعد دخول (الثورة) البغدادية عل الخط ونزولها إلى الميدان وحصولها على حق نشر المقال انخفضت مبيعات (الأنوار) يوم السبت مع ارتفاع مبيعات (الثورة) يوم الجمعة.

توالت احتجاجات الأستاذ سعيد فريحة، ولكن من دون جدوى، ربما لأنها افتقرت إلى أساس قانوني.

وعلى كل حال لم يغير الأستاذ هيكل موقفه وعندما التقيت به في القاهرة أثناء انعقاد أول مؤتمر قومي للصحافيين العرب بعد الخامس الأسود المشؤوم من حزيران ١٩٦٧ دعاني إلى الغداء في (روف) مبنى الأهرام مع الصديق العزيز الشهيد غسان كنفاني، وبعد أن تناولنا الطعام، أخذنا إلى قاعة واسعة يتصدرها صندوق حديدي كبير الحجم، وأشار إليه بفخر واعتزاز قائلا: هذا كمبيوتر، فلقد كان هيكل أول من أدخل الكمبيوتر إلى المؤسسات الصحافية في الوطن العربي. والتقيته بعد ذلك في بغداد في ظروف مختلفة، فكنا على ود دائم وصفاء صادق، وكأننا لم نفترق على الإطلاق.



الفريق الركن بكر صدقي - رئيس أركان الجيش العراقي

(١٨٩٠ - ١٩٣٧)



مسعود بارزاني - رئيس إقليم كردستان العراق (١٩٤٦ -)

-6-

شوفينية الزعامة الكردية من بكر صدقي إلى مسعود البرزاني(*)

تحتاج عبارة الشوفينية الكردية إلى تعريف واضح وتحديد دقيق، وإلا تحولت بالخلط والالتباس إلى مفهوم شامل أو تعميم مطلق خاطئ وظالم في وقت واحد وعلى حد سواء. خاطئ لأنه لا ينطبق على الواقع الحي والوضع الحقيقي، وظالم لأنه يخلط الحابل بالنابل، ويحرق الأخضر بنار اليابس، ويأخذ البريء بجريرة المذنب.

الشعب الكردي شعب طيب ونبيل وأصيل معروف بالمروءة وعزة النفس والشجاعة، ومتمسك في كثرته الكاثرة بوطنيته وعراقيته وإسلاميته، ومع أن الجانب الأمني أفضل نسبيا في كردستان العراق لأسباب يضيق المجال عن تفصيلها، إلا أن السجون والمعتقلات تزدحم بالوطنيين الأكراد الذين يعارضون الحزبين الحاكمين، كما أن جمهرة المواطنين العراقيين من الأكراد في كردستان العراق تماما مثل إخوانهم المواطنين العراقيين في بقية المحافظات، يعانون أشد المعاناة بحرمانهم من الماء والكهرباء فضلا عن البطالة والغلاء والفساد الإداري والمالي، في ضوء ما تقدم ينبغي أن يكون واضحا ومفهوما، أن عبارة ((الشوفينية الكردية)) تعتي الحزبين الحاكمين في كردستان العراق بوجه عام، وقياداتهما الرسمية بوجه خاص، ومسعود بارزاني بوجه أخص.

(*) العرب اليوم- عمان- الثلاثاء ٢٠٠٩/٠٧/٢٨ ص١١.

من هنا نستطيع أن نتلمس ونستشف طبيعة الخلفية التاريخية التي ترتبط بها تلك الشوفينية وتمتد منها وتومئ لها.

يتوهم كثيرون أن الشوفينية الكردية هي بادرة معاصرة وظاهرة جديدة وينسون أنها تعود في جذورها الغائرة وسوابقها الدفينة إلى الانقلاب العسكري الذي قادة الفريق الركن بكر صدقي في بغداد بتاريخ ٢٩ تشرين الأول ١٩٣٦ وكان أول انقلاب عسكري في التاريخ الحديث، وفاتحة سلسة من الانقلابات العسكرية المتعاقبة التي حدثت في مصر وسورية والعراق.

كان الفريق الركن بكر صدقي عسكريا عراقيا من أصل كردي، ويعترف حتى خصومه بأنه كان عسكريا مقتدرا ومتميزا وكان طموحا متعطشا إلى السلطة.

ولكن هذا الطموح كان من النوع الجامح الذي يجرد الإنسان من إنسانيته ويدفعه إلى البطش بخصومه من دون رحمة أو شفقة، وبالمقابل ليس بارزاني إلا مجرد زعيم عشائري تقليدي طموح إلى تبؤو مقام الصدارة في إقليم كردستان العراق، وموقع القيادة في حركة قومية كردية هدفها حلم مستحيل بجمع أكراد العراق وسورية وتركيا وإيران في دولة واحدة.

بكر صدقي ومسعود بارزاني يتماثلان في خصلة معينة واحدة وحيدة بالذات هي الشوفينية الجامحة المتعصبة المتطرفة.

ومن هنا ومن هذه الناحية بالتحديد يمكن أن يقال بكر صدقي كان صورة مصغرة ومكررة من مسعود بارزاني، وأن مسعود بارزاني ليس سوى صورة مكبرة ومتطورة من بكر صدقي، بجهد أشرس وزخم أشد وحظ أفضل، لأن مسعود بارزاني خدمته الظروف الموضوعية كما لم تخدم

بكر صدقي بانهيار الدولة المركزية ومجيء الاحتلال الأمريكي. ومع ذلك ما يزال التماثل قائما، دعونا نلقي نظرة فاحصة.

افتتح بكر صدقي انقلابه سيء الصيت باغتيال وزير الدفاع الفريق الركن جعفر العسكري غيلة وغدرا، من دون أن يأخذ بعين الاعتبار أن الضباط يحبونه بوصفه مؤسس الجيش العراقي والأب الروحي للعسكريين العراقيين.

استقالت حكومة ياسين الهاشمي العروبية حقنا للدماء وتألفت وزارة حكمت سليمان الانقلابية ذات الهوية الغامضة السائبة.

أول عمل أقدمت عليه وقامت به الحكومة الجديدة أنها أوقفت شحنات السلاح وإمدادات العتاد التي كان العراق يرسلها ويمررها إلى ثوار فلسطين، ومنعت العسكريين العراقيين من عبور الحدود والالتحاق بالثوار. ولم تكتفي بذلك، بل أمعنت في غيها ونشطت في مطاردة وملاحقة قادة من ثوار فلسطين كانوا قد استأمنوا على أنفسهم في بغداد العروبة. وأخذت تضيق الخناق عليهم وأمرت بنفي أحد أبرز هؤلاء القادة فوزي القاوقجي إلى كركوك.

لم تمض أيام قليلة على استقالة الهاشمي ومغادرته العراق إلى لبنان فسورية، حتى وردت رسائل تهديدية إلى شريحة واسعة من السياسيين والمثقفين العروبيين تطالبهم بمغادرة البلاد فورا وإلا تعرضت حياتهم إلى الخطر. وظهرت إلى الوجود جمعية إرهابية سرية شوفينية كردية تسمى نفسها ((جمعية الإصلاح الكردية)) كانت توزع تلك التهديدات المكتوبة بالاغتيال ذات اليمين وذات الشمال. واغتيل القانوني الضليع والعروبي الشهم

الهمام ضياء يونس سكرتير مجلس الوزراء في عهد حكومة الهاشمي، في رابعة النهار أمام بيته.

وحدثت محاولات فاشلة للاعتداء على الصحافي العروبي الغيور عبد الغفور البدري صاحب جريدة(الاستقلال) وجميل روحي المرافق العسكري للهاشمي والمجاهد العربي مولود مخلص.

تعاظم المد القومي والشعبي المعارض للانقلاب وانتشر انتشار النار في الهشيم اليابس، وامتد إلى جميع الأنحاء والأرجاء واستقطب النخب السياسية والعسكرية الأساسية. وعقد ثلاثة من أقطاب التيار المعارض اجتماعا في فندق (كلاريدج) قرب جسر الأحرار بمدينة الموصل هم: العروبي المصلاوي البارز جمال المفتي المحامي، والناشط القومي يونس السبعاوي الذي أصبح وزيرا للاقتصاد في حكومة الدفاع الوطني سنة ١٩٤١، والمقدم (العقيد فيما بعد) الركن محمد فهمي سعيد أحد أبرز قادة الكتلة القومية في الجيش العراقي وضابط ركن المنطقة الشمالية. وتدارسوا الوضع العام والموقف السياسي في البلاد. واتفقوا أن بكر صدقي أصبح خطرا جسيما ومباشرا يهدد كيان العراق وعروبته، واتخذوا قرارا بالتخلص منه والقضاء عليه، المقدم الركن محمد فهمي سعيد أخذ المهمة على عاتقه، وكان المخطط والمنفذ لعملية تصفية الفريق الركن بكر صدقي. وتكللت العملية بالنجاح في مطار الموصل العسكري، واغتيل الفريق الركن بكر صدقي بتاريخ ١١ آب ١٩٣٧ وهكذا انتهت فترة دامية عصيبة مظلمة بائسة من تاريخ العراق الحديث.



الأستاذ نوري نجم المرسومي - إعلامي وسياسي عراقي -

(١٩٤٢ - ٢٠٠٧)

-7-

كان نوري نجم المرسومي صديقا عزيزا(*)

كان نوري نجم المرسومي صديقا عزيزا ورجلا كريما شهما، وإنسانا عربيا وفيا أبيا ومناضلا جريئا شجاعا، وكان وجها طليعيا بارزا من وجوه الحركة القومية العربية التقدمية في نضالها ضد الشعوبية والقوى التي كانت تسعى إلى تغييب عروبة العراق.

وكان قياديا في حركة القوميين العرب في العراق في ستينيات القرن الماضي. وكان في تلك الفترة ذاتها سكرتيرا للإتحاد العام لنقابات عمال العراق التي كان رئيسها المرحوم هاشم علي محسن.

وتقلد عدة مناصب مهمة في النظام الوطني السابق، كان من أبرزها نائب رئيس مجلس أمناء بيت الحكمة، ثم وكيل وزارة الإعلام، ومارس العمل السياسي والنقابي والإعلامي منذ نعومة أظفاره.

وشارك في تشكيل هيئة توحيد الجهد الوطني العراقي بعد احتلال العراق مشاركة فعالة مع نخبة من السياسين والمثقفين والنخب العراقية من

(*) توفي الفقيد في ٢٠٠٧/١٢/٠١ في عمان- وكانت الأربعينية في ٢٠٠٨/٠١/١٥. العرب اليوم- عمان- يوم الثلاثاء الموافق: ٢٠٠٨/٠١/٢٢ ص١١.

شيوخ عشائر وعسكريين وإعلاميين ورجال أعمال وأساتذة جامعات. وكان تشكيل الهيئة مسعى إستراتيجيا عراقيا جادا يرمي إلى حشد القوى والشخصيات والفعاليات السياسية في إطار وطني لمواجهة تداعيات الاحتلال ومخاطر المحاصصة الطائفية الهدامة وهيمنة المليشيات و القوى المرتبطة بالمخططات الإيرانية الغادرة وتحقيق الخلاص الوطني من حالة التداعي الشامل والظلم المطلق والإثم الطائفي والانحطاط الحضاري التي تغطي سماء العراق الحبيب بسحابة عفنة سوداء لا تليق بالتاريخ القومي الطويل والتراث الثقافي الأصيل. كان نوري نجم المرسومي في جميع تلك المواقع والميادين يتميز ويتمتع وينفرد بقدرة مذهلة على العمل الدائب والنشاط المتواصل، وبقدرة مماثلة على التعبئة والتنظيم مقرونتين بفكر ثاقب وتحليل صائب. ومن هنا كان رحيله المفاجئ خسارة فادحة لا يمكن تعويضها للهيئة والحركة القومية العربية التقدمية.

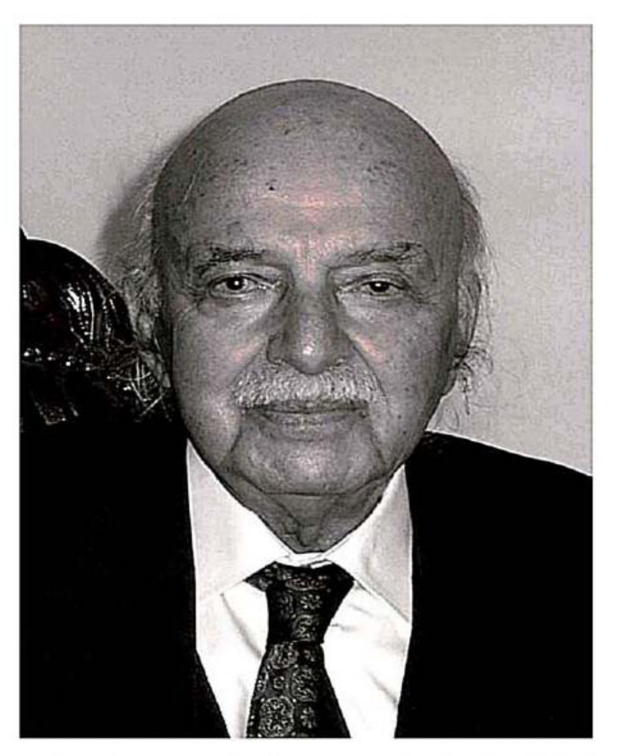
التقيت وعرفت المرحوم الأستاذ نوري نجم المرسومي للمرة الأولى في ستينيات القرن الماضي في بغداد.

وكان يومها سكرتيرا للاتحاد العام لنقابات العمال العراقية، ويشرف على إصدار جريدته اليومية الرسمية (صوت العمال). وكانت جريدة واسعة الانتشار ذائعة الصيت، تنطق بلسان اليسار القومي التقدمي في

العراق حينذاك، وكنت في تلك الفترة مديرا للصحافة بوزارة الإعلام عندما عدت إلى بغداد من عملي في سفارة العراق في لندن بعد الخامس الأسود المشؤوم من حزيران سنة ١٩٦٧، وتلك هي قصة أخرى ليس هذا أوانها ولا مكانها. المهم أنني في تلك الأيام كتبت مقالا لم يتجرأ أحد في تلك الظروف أن ينشره. سوى الأستاذ المرسومي الذي نشره بالفعل في (صوت العمال)، وسأله السوفييت عني: من هو حازم طالب مشتاق، فأجابهم: أنه قومي عربي تقدمي وناصري ملتزم. وكان أن نشر المقال في ترجمة روسية في جريدة ((البرافدا)) في موسكو. وقامت الدنيا ولم تقعد، وفصلت من وظيفتي وإن استدعيت بعد فترة من الوقت للعمل رئيسا للتحرير في جريدة ((الثورة)) وهي وظيفة مرموقة كان يتمناها كثيرون. ولكن هذه أيضا قصة أخرى ليس هذا أوانها ولا مكانها. والمهم أن المقال المذكور ظهر في حينه بعنوان (يا أصدقاء أمريكا في العراق متى تسكتون خجلا؟)

كان نوري نجم المرسومي محاربا قديما والمحاربون القدماء لا يموتون، ولكنهم يتحولون إلى نجوم هادية ومنابر مضيئة. نوري نجم المرسومي أصبح الآن فكرا وعملا ومثلا نجمه هادية ومنارة مضيئة ومدرسة مفتوحة تحتضن الجماهير والأجيال.

ما أقسى وما أشق وما أصعب أن يقوم مناضل مخضرم قديم بمراسم وشعائر الوداع الأخير في أربعينية مناضل قديم آخر كان من أصلب المناضلين الأوائل وصديقا عزيزا كان من أشرف وأعز الأصدقاء.



الأستاذ المتميز الدكتور/ عبد العزيز الدوري-مؤرخ ومفكر عراقي رئيس جامعة بغداد -
(- ١٩١٧)

-8-

عبد العزيز الدوري.... مفكرا قوميا(*)

العلامة الأستاذ المتميز الدكتور عبد العزيز الدوري نذر نفسه وكرس جهده طوال أكثر من خمسين عاما للمساهمة الخلاقة والمبدعة في تأصيل الفكر القومي والبناء الثقافي والوعي العربي بالأبحاث العلمية المتفردة والدراسات التاريخية الرصينة. ويعتبر في حد ذاته مدرسة منهجية رفدت الأمة بأجيال عديدة من الباحثين العلميين والأساتذة الأكاديميين.

ويلقب عن جدارة واستحقاق بشيخ المؤرخين العرب الأحياء.

توج جهده العلمي وعمله الثقافي بكتابه الأخير المعنون (التكوين التاريخي للأمة العربية) الذي جاء بمثابة نقلة نوعية ومحطة أساسية في تطور الفكر القومي. في هذا العمل الأصيل بكل معنى الكلمة انتقل العلامة الدوري من خانة (المؤرخ) إلى خانة (فيلسوف التاريخ). وارتفع من مستوى (التاريخ) إلى مستوى (فلسفة التاريخ) وقد أحسن صنعا مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت بترجمته إلى اللغة الإنجليزية فضلا عن قيامه مشكورا بنشر مجموعة أعماله كاملة.

جامعة بغداد التي كان الدوري رئيسها وكانت جهوده أساسية ومباشرة في تشييد صرح بنيانها، لم تجد في نفسها من المروءة والامتنان والاعتراف بالفضل واحترام العلم، ما يدفعها إلى تكريمه لا في عهدها

(*) العرب اليوم- عمان- الأربعاء ٢٠٠٩/٠٨/٠٥ ص٢٠.

السابق، عهد الاستقلال ولا في عهدها اللاحق، عهد الاحتلال.

هذا الجحود والعقوق والنكران لا يضير العلامة الدوري، ولا يقلل من شأنه ولا ينتقص من قدره.

وقد قامت الجامعة الأردنية بالواجب العروبي والعلمي خير قيام فكرمته مؤخرا بمنحه لقب (أستاذ متميز) وكرمت في شخصه جمهرة محبيه وطلابه وعارفي فضله.

وكان الدوري قد واكب تطور الجامعة الأردنية منذ نشأتها الأولى وحتى الآن (١٩٦٩-٢٠٠٩).

عرفت الدوري شخصيا للمرة الأولى في بغداد سنة ١٩٦٢ عندما انتهيت من دراستي في جامعة أكسفورد ورجعت إلى الوطن. فتذرعت جامعة بغداد بحجج واهية ومبررات باطلة للامتناع عن تعييني. وبذل العلامة الدوري جهدا دائبا حثيثا حتى أقنعها بالعدول عن موقفها.

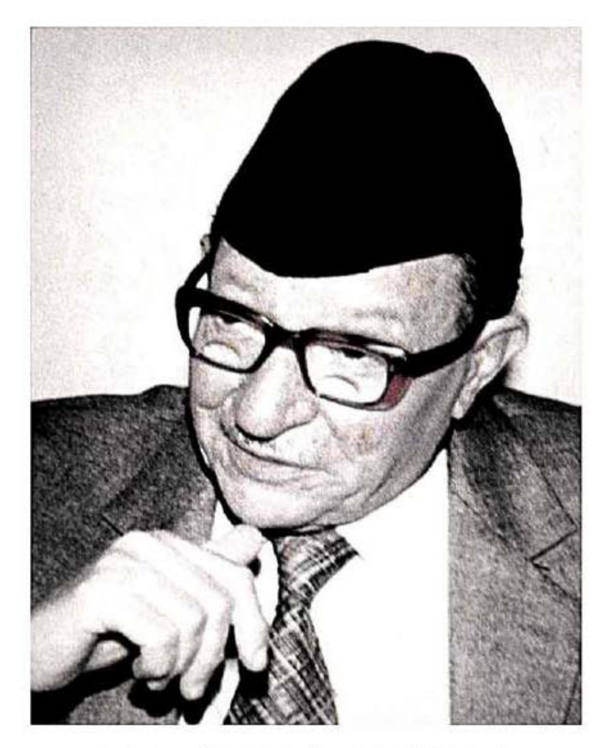
وزاملته في (الجبهة التعليمية الموحدة) التي كان من أبرز أقطابها في انتخابات نقابة المعلمين العراقيين قبيل سقوط النظام القائم بقوة السلاح في ٨ شباط سنة ١٩٦٣.

وعندما كتبت بحثي المعنون (الصراع الفكري في التاريخ العربي) في سبعينيات القرن الماضي، كان كتابه المتميز المعنون (دراسات في العصور العباسية المتأخرة) زادي ومتاعي.

ينتمي الدوري إلى محفل الخالدين من عمالقة الفكر القومي العربي في

القرن العشرين الذي يضم أبطالا فكريين وروادا ثقافيين من أمثال ساطع الحصري وقسطنطين زريق وأنطون سعادة.

ذات يوم ستشرق شمس الحرية مرة أخرى على بغداد وعندما يسطر التاريخ الحقيقي للعلم والفكر والأدب في هذه الحقبة من زماننا. وليس التاريخ المزيف أو المنحول أو المشحون بالأكاذيب والمفتريات سيكون اسم العلامة الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري أحد أهم وأبرز وألمع الأسماء التي يشار لها ويكتب عنها ويشاد بها. أطال الله عمر أستاذنا الكبير وأدام عليه الصحة والعافية.



عالم الاجتماع المفكر العراقي الأستاذ المتمرس الدكتور علي الوردي

(١٩١٣ -١٩٩٥)

-9-

علي الوردي مفكرا متمردا(*)

كان عالم الاجتماع علي الوردي وجها من أبرز الوجوه الأكاديمية في عراق القرن العشرين ورمزا من أشهر الرموز الثقافية في بلاده والمنطقة والعالم أجمع. وقد زاملته مدة طويلة تصل إلى ٣٠ عاما في كلية الآداب بجامعة بغداد.. ولازمته عن كثب وعرفته عن قرب ولي معه ذكريات ونوادر وطرائف يضيق المجال هنا عن تفاصيلها، كان على الدوام أستاذا جامعيا جليلا، وباحثا علميا دقيقا ومفكرا ناقدا جريئا، ومتمردا من الطراز الأول بكل معنى الكلمة.

لا يهاب الظروف والمصاعب والتكاليف، ولا يخاف في الحق الثابت برهانا وعيانا لومة لائم.

تخرجت على يديه أجيال متعاقبة من حملة شهادة البكالوريوس والماجستير

والدكتوراه طوال عقود عديدة من الزمن وحظي باحترام

(*) العرب اليوم- عمان- الأربعاء: ٢٠٠٩/٠٨/١٢ ص٢٠.

الجميع، عراقيين وعربا وأجانب في طريقته العلمية ومنهجيته الموضوعية وشجاعته الأدبية وجرأته الفكرية.

ترك جمهرة من الأبحاث والدراسات والكتب التي تشهد على غزارة علمه وسعة اطلاعه وأصالة فكره وستتناقلها وتتدارسها وتستلهمها الأجيال القادمة بفخر وحرص واعتزاز. ومن أهم أعماله: شخصية الفرد العراقي، وعاظ السلاطين، مهزلة العقل البشري، منطق ابن خلدون، أسطورة الأدب الرفيع، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث.

وراجت كتبه رواجا مشهودا على أوسع نطاق عن جدارة واستحقاق لكن أكثرها رواجا كان كتابه الأخير الذي يقع في ٦ مجلدات وترجم إلى اللغة الإنجليزية.

نشر العلامة الوردي كتبه قبل خمسين عاما، فقوبلت بحماس فائق استحسانا واعتراضا وأثارت جدلا حادا ونقاشا ساخنا، ولو نشرها في هذه الأيام من عصر التعصب وزمن التجهيل لصودرت وأحرقت وفي أحسن الأحوال منعت من التداول، ولتعرضت حياة كاتبها إلى تهديد أكيد وخطر جسيم.

كان العلامة الوردي صلبا في مناداته بتحرير المرأة ودفاعه عن حقوقها، وفي وقوفه علنا على رؤوس الأشهاد مع السفور في معركة السفور

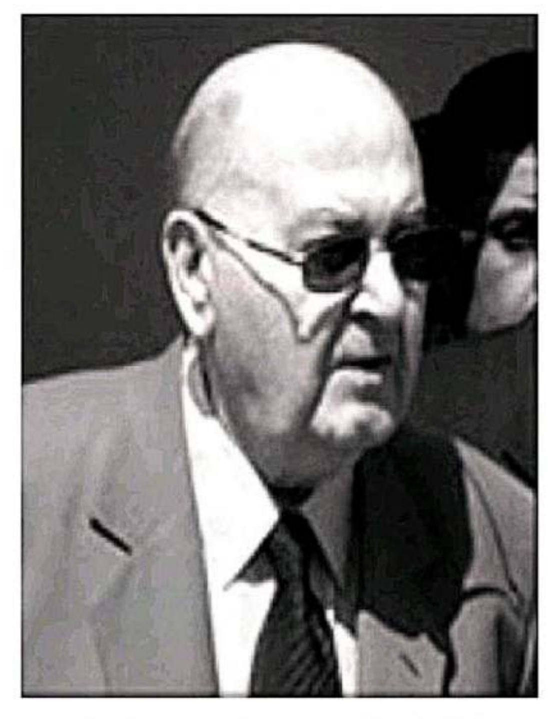
والحجاب. وكان أمينا مع نفسه وعلمه في معاداته للتقاليد البالية والأعراف الرثة والمفاهيم الجاهلة.

وكان جريئا شجاعا في رفضه للطائفية على اختلاف وتعدد صورها وأشكالها السياسية والاجتماعية. اعتبر الطائفية نوعا من أنواع البدع والضلالات ونظر إليها بوصفها عرضا من أعراض التخلف والانحطاط. والمفارقة هي أنه كان شيعيا بالاسم لكنه لم يكن طائفيا على الإطلاق، وأن لم يتنكر للطائفة الشيعية، كما أظهر الاحترام للطائفة السنية، وكان يميز بين الطائفة والطائفية تمييزا واضحا دقيقا. حاربه الطائفيون الشيعيون لأنه لم يكن طائفيا مع أنه كان شيعيا، وحاربه الطائفيون السنيون لأنه كان شيعيا ولو بالاسم فقط على طريقة القتل على الهوية.

كان موقفه من قضية جرائم الشرف غسلا للعار حاسما وقاطعا، وكم من فتاة بريئة وامرأة عفيفة قتلت على مجرد الشبهة؟ وما معنى هذا التمسك المريض بالشرف الشخصي- أو الفردي مع أن الشرف الوطني والقومي والاجتماعي يداس بالنعال ويتلطخ بالأوحال؟.

هذا الموقف في تلك الأيام كان مثارا ومدارا للموجة العارمة من القبول والرفض التي شهدتها المجالس والمنتديات والدواوين. لكن العلامة الوردي لم يتزحزح عن موقفه قيد نملة، وبقي ثابتا على معتقده حتى النهاية.

من المحتمل في اجتهادي المتواضع أنه اختلف مع أقرانه ومعاصريه لأنه كان قد تقدم على عصره بشوط واسع وسبق زمانه بوقت طويل. ويوم يكتب تاريخ الفكر العربي في عراق القرن العشرين سيكون العلامة الأستاذ المتمرس الدكتور علي الوردي رحمه الله إحدى العلامات الفارقة والومضات المضيئة والمحطات الأساسية في ذلك التاريخ.



الأستاذ طه محي الدين معروف - نائب رئيس جمهورية عراقي

- (١٩٢٤- ٢٠٠٩)

-10-

شهادة وفاء بحق عراقي كردي شهم[*]

توفي مؤخرا في أحد المستشفيات الأردنية بالعاصمة عمان المرحوم طه محي الدين معروف الذي كان يشغل منصب نائب رئيس الجمهورية العراقية قبل الاحتلال الأمريكي.

لا يعنيني في هذا المقام أن أكتب عن طه محيي الدين معروف الدبلوماسي المحترف والموظف الرسمي، فهذا مضى وانقضى وذهب إلى الأبد. بل يعنيني أن أكتب عن طه محي الدين معروف المواطن والإنسان، فهذا يبقى ماثلا في الذهن، حاضرا في الوعي، حيا في الضمير.

كان الأستاذ طه محي الدين معروف عراقيا صميما وكرديا أصيلا في وقت واحد، لكنه كان عراقيا قبل أن يكون كرديا، وكان عراقيا أولا وكرديا ثانيا. كانت عراقيته تحتضن كرديته وتحتويها وتستوعبها ولم يكن لديه أي فرق على الإطلاق بين العراقي الكردي والعراقي العربي.

من هنا اختار أن يكون مرافقه العسكري عربيا يحمل رتبة نقيب في الجيش العراقي السابق، وليس كرديا، واستبقاه حتى النهاية، هذه الحقيقة تنطوي على رسالة واضحة، مفادها ضرورة مبدأ المواطنة العراقية المشتركة والهوية الوطنية الموحدة.

(*) العرب اليوم- عمان- الأربعاء ٢٠٠٩/٠٨/١٩ ص٢٠.

وكان طه محي الدين معروف إنسانا هادئا مهذبا، وديعا مسالما، متواضعا طيب القلب، لم يؤذي أحدا أبدا كائنا من كان ولأي سبب من الأسباب. ومن هنا لم يتعرض إلى الأذى عندما تهاوى عالمه وتداعى وتحول إلى أكوام من الخرائب والأنقاض، وهذه الحقيقة الثانية تنطوي على رسالة واضحة أخرى. مفادها من لا يؤذي لا يؤذى. وبقي إلى النهاية محتفظا بسيرة حميدة وسمعة طيبة وشخصية محترمة كثر شاكروه وقل شاكوه.

ومع أنني خرجت من العراق الحبيب مهاجرا اضطرارا في سنة ١٩٩٣ إلا أن فضله المشهود الذي أعانني شخصيا في وقت الحاجة ويوم الشدة لم يبرح خاطري، ولم يفارق فكري، ولكن هذا المقال يستدعي شرح الحال.

كانت العائلة مجتمعة في دار شقيقتي ندى في بغداد وزوجها نسيبي الكردي الدبلوماسي العراقي القديم صلاح طيب، ذات يوم من شتاء سنة ١٩٧٧، رن جرس التلفون وجاء صوت والدتي من اسطنبول تخبرنا أن الوالد مريض ويطلب من ولديه حازم وباسم أن يحضرا فورا على جناح السرعة، حاولنا دون جدوى أن نفعل ما طلبه الوالد. ولم نفلح في الحجز على أية طائرة إلا بعد أسبوع.

اقترحت شقيقتي ندى أن نلجأ إلى صديق زوجها السيد طه محي الدين معروف، اتصلنا به وأوضحنا له صعوبة الوضع وحراجة الموقف، فوافق فورا على مساعدتنا بلا حرج أو تردد. ولم يعهد إلى وزارة الخارجية أن تقوم باللازم، بل أخذ الموضوع على عاتقه شخصيا.

كانت هناك طائرة تابعة للخطوط الجوية الهولندية تمر في الأجـواء العراقيـة مجـرد مرور عابر، ففتح قنوات الاتصال مع قائد الطائرة ورجاه أن يهبط في مطار بغـداد لأسـباب إنسانية وأن ينقل راكبين إلى اسطنبول، لم يكن الهبـوط في بغـداد واسـطنبول واردا في خـط تحليق الطائرة، لكن قائد الطائرة استجاب إلى هذا الرجاء الرسمي العـالي المسـتوى وهـبط في بغداد ونقلنا أنا وشقيقي باسم إلى اسطنبول.

لم تسنح الفرص ولم تسمح الظـروف أن أعـرب عـن شـكري الجـم وامتنـاني الفـائق شخصيا للسيد طه محي الدين معروف في حياته.

لعل هذا الرثاء ينطوي على بعض العزاء وشيء من الوفاء. رحمه اللـه.



جيسي جاكسون – ناشط سياسي وقائد شعبي أمريكي –

(١٩٤١ -)

-١١-

ذكريات مع جيسي جاكسون في بغداد التسعينيات(*)

كنت في داري في بغداد بحي الخضراء القريب من العامرية وأبو غريب، كانت الساعة حوالي الثامنة من مساء ذات يوم من أيام شتاء سنة ١٩٩١، قبل أسبوع تقريبا من العدوان الأمريكي الأول على العراق.

رن جرس الهاتف، رفعت السماعة جاء صوت الصديق الأمريكي العزيز ميلتون فيورست الكاتب اليساري المعارض للعدوان على العراق الذي تنشر مقالاته مجلة (النيويوركر). ظننت انه يتكلم من أمريكا ولكنه أخبرني أنه حضر إلى بغداد عضوا في وفد شعبي أمريكي كبير. يقوده الناشط السياسي جيسي جاكسون، وأن لديه موعدا رسميا على أعلى مستوى في تمام الساعة الثانية عشرة ليلا، للاستئذان في اصطحاب المواطنين الأوروبيين والأمريكيين العالقين في العراق على متن طائرته الخاصة إلى خارج البلاد، وأفادني أن جيسي- جاكسون يود أن يقابلني في الفترة الزمنية المتبقية على موعده الرسمي.

كنت أعلم أن جيسي جاكسون من أبرز الناشطين في الحقوق المدنية والحريات العامة ومن أصلب المعارضين للحرب على العراق، وافقت بلا تردد ولبيت الدعوة شاكرا ومسرورا ونقلتني سيارة رسمية من سيارات وزارة الإعلام إلى فندق الرشيد الذي استضاف الوفد الشعبي الأمريكي،

(*) العرب اليوم- عمان- الأربعاء ٢٠٠٩/٠٨/٢٦ ص٢٠.

استقبلني ميلتون فيورست على باب الفندق وقادني إلى قاعة واسعة. كان جيسي-جاكسون جالسا في حلقة من أعضاء الوفد. تبادلنا التحيات المألوفة والمجاملات المعهودة في أمثال هذه المناسبات، ودار بيننا حوار طويل يضيق المجال هنا عن تفاصيله، وكان أعضاء الوفد صامتين منتبهين يصغون باهتمام. وفي نهاية الحوار التفت جيسي جاكسون إلى ميلتون فيورست وقال له بالحرف الواحد: ((لو كنا قد سجلنا هذا الحوار على شريط للبث التلفزيوني، لكان أفضل وأفعل دعاية ضد الحرب)).

سألته: هل حقا أن أمريكا تحتاج إلى تدمير دولة صغيرة نامية مثل العراق لا لسبب أو مبرر إلا لأنها تريد أن تثبت أنها الدولة الأقوى الوحيدة في العالم؟ فأجابني: لو سألتني شخصيا لكان الجواب الأكيد بالنفي. ولكن توجد في واشنطن فئة من أصحاب الشأن وصناع القرار، وأرباب الحكم تعتقد أن الأمر كذلك)). وكان يشير طبعا إلى جلاوزة المحافظين الجدد.

وسألته: هل اتخذت الإدارة الأمريكية قرارا بالعدوان على العراق، وهل تتوقع ضربة قريبة قادمة؟ فأجابني: نعم بالتأكيد، إن الضربة قريبة وقادمة لا محالة، فأجبته: إذن هذا ليس مجرد حلم سيء ولكنه كابوس رهيب، فوافقني بالمطلق. هذا في الوقت الذي كان فيه مسؤولون رسميون عراقيون يعربون عن اعتقادهم علنا أن أمريكا لن تهاجم العراق.

وسألته: وماذا تنصحني أن أفعل شخصيا ؟ فأجابني بالحرف الواحد: أنصحك أن تأخذ عائلتك وتخرج من بغداد إلى منطقة ريفية بعيدة، وأن تسارع إلى تأجير دار مناسبة. وأن تخزن كميات كافية من الماء والنفط

والبنزين، وأن تتجهز بالمواقد والصوبات والفوانيس النفطية، ولا تنس البطاريات للراديو الترانزستور للاستماع إلى أخبار العالم، لأن الإذاعة والتلفزيون سيتوقفان عن البث، كما ستنقطع الكهرباء وتجف صنابير الماء.

عملنا بنصيحة جيسي جاكسون أنا وعديلي الأستاذ الدكتور إحسان فتحي، واستأجرنا في اليوم التالي دارا مناسبة في منطقة الهاشمية جنوب بغداد بين الحمزة والقاسم.

بقينا في الهاشمية ٤٥ يوما، وكنا نصعد إلى سطح الدار بعد غروب الشمس ونرى بغداد من بعيد وهي تئن وتتلوى وتحترق، وقد تحول ليلها إلى نهار، تحت وطأة الضربات الصاروخية التي تنهمر عليها بلا توقف، والغارات الجوية المتواصلة موجة بعد موجة بلا انقطاع. فتتفجر قلوبنا وتتفطر أكيادنا حزنا وغضبا.

بعد سنوات عجاف طوال، سقط مرشح المحافظين الجدد في انتخابات الرئاسة الأمريكية وفاز أوباما وشاهدت على شاشة التلفزيون الاحتفالات الشعبية الحاشدة التي جرت بهذه المناسبة، ورأيت جيسي جاكسون يشارك المحتفلين فرحهم. واقتربت عدسة الكاميرا من وجهه. فرأيت الدموع تسيل على خديه، كان لديه حلم، وكان هذا الحلم يبدو كما لو كان مستحيلا، ولكنه تحقق بالفعل، ودخل رجل أسود إلى البيت الأبيض بإرادة الشعب الأمريكي. واغرورقت عيناي أيضا بالدموع فهمت ما أراد جيسي جاكسون أن يقوله بالدموع وعجز عن قوله بالكلمات وتعاطفت مع هذا الإنسان الأمريكي المتحضر- المتحرر المتنور.



المارشال أندريه غريشكو - وزير دفاع، قائد عسكري روسي - بطل الإتحاد السوفيتي - (١٩٠٣ - ١٩٧٦)

-12-

حوار بغدادي مع المارشال غريشكو(*)

وافقت موافقة مشروطة أن أكون رئيسا للتحرير في جريدة (الثورة) ببغداد في فترة عصيبة في التاريخ العربي الحديث بعد الخامس الأسود المشؤوم من حزيران سنة ١٩٦٧.

دخلت في مناقشة صحافية حادة مع رومانيا لأنها أمعنت في مغازلة إسرائيل غير عابئة بردود الفعل العربية الرسمية والشعبية. ولم تكن رومانيا في ذلك الوقت دولة ذات أهمية استثنائية خاصة بالنسبة إلى مصالحنا القومية الحيوية.

لكنها كانت تدور في فلك الاتحاد السوفيتي السابق، وتنتمي إلى منظومة الدول الاشتراكية، وعضوا في حلف وارسو.

تطاير رذاذ من تلك المناوشة إلى موسكو التي كانت في ذلك الحين تتمتع بأهمية قصوى للدول العربية التي اعتمدت عليها في النواحي العسكرية فضلا عن النواحي السياسية والدبلوماسية.

(*) العرب اليوم- عمان- الأربعاء ٢٠٠٩/٠٩/٠٢ ص٢٠.

في تلك الأثناء وصل المارشال أندراي غريشكو وزير الدفاع السوفيتي إلى بغداد في نطاق جولة تشمل دمشق والقاهرة في سياق عملية إعادة تسليح وتجهيز الجيوش العراقية والسورية وخصوصا المصرية.

بادرت إلى الترحيب به وأبرزت زيارته وصورته على الصفحة الأولى وأثنيت عليه بوصفه صديقا للعرب وأشدت ببلاده ومواقفها المؤيدة والمساندة لقضايانا العادلة. هكذا عادت مياه الجريدة في مواقفها من الاتحاد السوفييتي إلى مجاريها الطبيعية الودية المتعاطفة.

كان وزير الدفاع العراقي في ذلك الوقت اللواء الركن شاكر محمود شكري صديقا عزيزا وقديما ودبلوماسيا متمرسا وفنانا يهوى الرسم بالأصباغ المائية والزيتية. وإنسانا مثقفا بكل معنى الكلمة، وعندما اتصل بي هاتفيا ودعاني إلى العشاء في داره وأخبرني أن المارشال أندراي غريشكو سيكون ضيف الشرف. وأننا نحن الثلاثة سنكون وحدنا وبمفردنا، شكرته على لطفه ولبيت دعوته بكل سرور، وتطلعت بشوق إلى لقاء المارشال أندراي غريشكو.

كان المارشال أندراي غريشكو ((١٩٠٣-١٩٧٦)) رجلا طويل القامة عريض المنكبين، مهيب الطلعة، بوجه بشوش وثغر باسم، وأكثر ما لفت نظري وأثار إعجابي في شخصيته أدبه الجم وقد أحرجني بتواضعه.

ويبدو أن العظمة الحقيقية تتناسب طرديا مع التواضع، أخبرني بالحرف الواحد: الاتحاد السوفييتي يا صديقي دولة عقائدية يحكمها حزب مسلح بنظرية علمية، ولكننا لا نبني خططنا العسكرية على أسس واعتبارات أيديولوجية وعاطفية بل نبنيها على أسس واعتبارات إستراتيجية وعقلانية.

المارشال غريشكو شخصية تاريخية بامتياز تخرج في أرقى المعاهد والكليات السوفييتية من كلية (فرونز) العسكرية التي تضاهي (ويست بوينت) الأمريكية و (ساند هيرست) البريطانية كان قائدا ميدانيا مقاتلا في الحرب الأهلية وفي الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥ (التي يسمونها الحرب الوطنية الكبرى).

وأضاف المارشال: في كل مرة وعلى امتداد التاريخ كان اعتماد العوامل والاعتبارات الأيديولوجية والعاطفية عند وضع الخطط وصنع القرارات واتخاذ المواقف على حساب العوامل والاعتبارات الإستراتيجية والعقلانية يقود إلى أفدح الخسائر وأوخم العواقب وأسوأ النتائج.

الأحمق يتعلم من تجاربه، والعاقل يتعلم من تجارب الآخرين، والغبي لا يتعلم لا من تجاربه ولا من تجارب الآخرين، وكم من صانع قرار لم يتعلم شيئا من سابقيه ولا من معاصريه؟ ما أكثر العبر، وما اقل الاعتبار، تلك هي الوظيفة الأساسية للتاريخ في الفكر الإستراتيجي، أن يكشف

الأخطاء التي ارتكبتها وكررتها الأجيال السابقة واللاحقة. وأن ينبه إليها ويحذر منها. ذلك الحوار مع المارشال غريشكو فتح أمامي بابا ودفعني إلى مواجهة مشكلة سياسية حقيقية هي مشكلة العلاقة بين عصر وعالم الأيديولوجية وعصر وعالم الإستراتيجية.

كانت أمسية لا تنسى، في ضيافة اللواء الركن شاكر محمود شكري وزير الدفاع العراقي، بحضور أندراي غريشكو وزير الدفاع السوفييتي، مارشال الجيش الأحمر، القائد البطل في معارك الحرب العالمية الثانية على الجبهة الروسية... الرجل الهادئ المتواضع الدمث، صاحب الآراء السديدة والعبارات الدقيقة والنظرات الثاقبة.



ياسين باشا الهاشمي - زعيم قومي وقائد سياسي ورئيس وزراء عراقي - (١٨٨٤ - ١٩٣٧)

-١٣-

ياسين الهاشمي.. بسمارك العرب(*)

قبل جمال عبد الناصر بوقت طويل، وقبل الأحزاب والقيادات الأخرى التي شهدتها الساحة القومية العربية في مراحل لاحقة، كان ياسين الهاشمي (١٨٤٩-١٩٣٧) محط الأنظار والأسماع والآمال في هذه المنطقة من العالم، كان اسمه على كل شفة في بلاد الناطقين بالضاد. تتردد أصداء أقواله وأفعاله ومواقفه في جميع المجالس والأندية والدواوين على امتداد الأرض العربية، وبوجه خاص في قلبها النابض ومحورها المركزي مصر- وفلسطين وسورية ولبنان والأردن والعراق.

وعاصره في العراق العلامة ((أبو خلدون)) ساطع الحصري الذي كان في تلك المرحلة وما تلاها الأب الثقافي والفكري والتربوي للفكرة القومية والوحدة العربية، وكان ياسين الهاشمي الأب السياسي و القائد الجماهيري والشعبي للمد العروبي في ذلك الزمان. وكانت عبارته المأثورة ((لا حدود للعراق مع العرب)) عنوانا وشعارا للعروبيين والقوميين والوحدويين، وكان هو ملهمها وبطلها وزعيمها بلا منازع.

تعززت مكانته العروبية وزعامته القومية بإصراره على استكمال سيادة العراق واستقلاله وتحويله إلى قاعدة مناضلة أساسية، ومساندته النشيطة للثورة الفلسطينية وإمداد ثوارها بالسلاح والعتاد والدعم المطلق

(*) العرب اليوم- عمان- الأربعاء ٢٠٠٩/٠٩/٠٩ ص٢٤.

المادي والمعنوي، وترسخت شعبيته في اندفاعه العزوم للمطالبة باستقلال فلسطين وسورية ولبنان. ونال عن جدارة واستحقاق لقب ((بسمارك العرب)) قياسا على جهود المستشار الحديدي في توحيد ألمانيا. وهذا لقب لم يطلقه هو على نفسه، ولا أطلقه عليه مريدوه من المحبين له والمعجبين به، ولكن الجماهير العربية هي التي أطلقته عليه.

المفارقة المؤسفة والمؤلمة هي أن الأجيال الجديدة من أبناء العراق والأمة العربية لم تسمع به ولا تعرف عنه شيئا حتى ولا اسمه. وهذا خلل فاضح ونقص فادح في الذاكرة الوطنية العراقية وفي الذاكرة القومية العربية في وقت واحد وعلى حد سواء.

لاشيء يريح ويفرح الاحتلال الأجنبي أكثر من شطب الذاكرة الوطنية والقومية ومحوها. ومن هنا نجد الاحتلاليين ومن والأهم وباع نفسه لهم يبذلون جهدا منهجيا محموما للعمل على قطع الصلة بالماضي، وتزييف الوعي، وتحريف التاريخ وإسدال ستار النسيان على رموزه وأبطاله من العظماء والمبدعين. لأن الذاكرة الوطنية والقومية هي الطاقة المحركة والقوة الدافعة للجماهير في سعيها للحرية والديمقراطية والاستقلال. فإذا وهنت هذه الذاكرة أو ضعفت أو غابت، وهنت أو ضعفت أو غابت إرادة المقاومة لدى ضحايا الظلم وقدرتهم على النهوض مجددا.

ارتبط اسم ياسين الهاشمي باسم مصطفى كمال أتاتورك مؤسس تركيا الحديثة. في معركة غاليبولي من المعارك الحاسمة في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨). أصيبت القوات البريطانية بهزيمة منكرة وتكبدت أفدح الخسائر في الأرواح والمعدات، وكان الهاشمي القائد الميداني في جناح

من الجبهة، وكان أتاتورك القائد الميداني في الجناح الآخر.

عزز الهاشمي سمعته العسكرية العالية بالانتصارات الساحقة التي أحرزها بوصفه قائدا ميدانيا غي جبهة غاليسيا، واستطاع أن يدحر ٣٠٠ ألف جندي روسي وأن ينقذ نصف مليون جندي تركي وألماني من مصير رهيب وخطر كارثي، ربح تلك المعركة قائد عربي من العراق اسمه ياسين الهاشمي، وجاء قيصر ألمانيا غليوم الثاني بنفسه إلى ميدان المعركة، وصافح الهاشمي مهنئا وعلق على صدره وسام الصليب الحديدي أرفع وسام عسكري ألماني للبطولة والرجولة والشجاعة.

في ٢٩ تشرين الأول سنة ١٩٣٦ قام الفريق الركن بكر صدقي بانقلابه العسكري البائس سيء الصيت، وكان الهاشمي رئيسا للوزراء، فقدم استقالة حكومته حقنا للدماء، أزاح هذا الانقلاب عن السلطة أقوى حكومة عرفها العراق في تاريخه الحديث سابقا ولاحقا، كما يروي طالب مشتاق في مذكراته المطبوعة ((ط١)) سنة ١٩٦٨، حكومة كان رئيس الوزراء فيها عسكريا متميزا وسياسيا محنكا وإداريا مقتدرا من وزن ياسين الهاشمي، ووزير خارجيتها نوري السعيد رئيس وزراء سابق لامع، ووزير دفاعها الفريق الركن جعفر العسكري رئيس وزراء سابق ومؤسس الجيش العراقي والأب الروحي للعسكريين العراقيين، ووزير داخليتها رشيد عالي الكيلاني قانوني ضليع وأستاذ في كلية الحقوق وسياسي متمرس عليم بخفايا وتفاصيل المشهد العراقي.

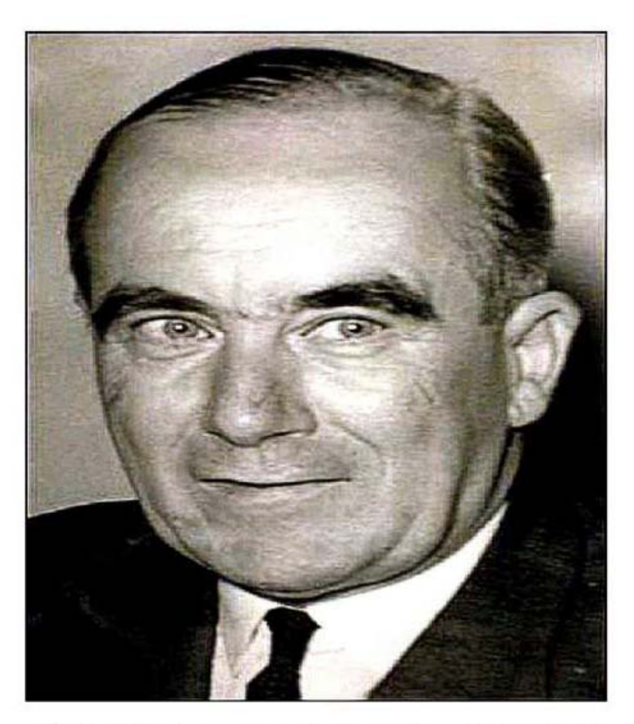
الحكومة الانقلابية الجديدة ذات الهوية الملتبسة والأجندة المشبوهة، أجبرت ياسين الهاشمي ونوري السعيد ورشيد عالي الكيلاني على مغادرة وطنهم إلى المنفى تحت طائلة التهديد.

واختار الهاشمي أن يلجأ إلى سورية ولبنان، وفي ٢١ كانون الثاني سنة ١٩٣٧ توفي الهاشمي في بيروت بالسكتة القلبية، ونقل جثمانه إلى دمشق.

رفضت الحكومة الانقلابية في العراق أن يعاد جثمانه إلى وطنه، خوفا من أن يتحول تشييعه إلى مظاهرة شعبية عارمة معادية، فأكرمته سورية الرسمية والشعبية، واختارت أن يكون مرقده بجوار البطل الخالد صلاح الدين الأيوبي في الجامع الأموي، وخرجت دمشق عن بكرة أبيها تودع الهاشمي إلى مثواه الأخير وتبكيه بالأفئدة قبل العيون في موكب مهيب وتشييع حاشد لم تشهد عاصمة الأمويين مثيلا له.

كان موقف الصحافة العربية من هذا المصاب الجلل موقفا كريما يفيض بالمحبة والوفاء. فخرجت الصحف السورية وعناوينها تقرأ: ((يومان للهاشمي في دمشق يوم الثائر المنفي ويوم الشهيد المظلوم)) وكتبت جريدة ((القبس)) الدمشقية بتاريخ ٢٢ كانون الثاني ٢١٩٣٧ تقول: ((لا ندري لمن نرسل التعزية في هذا الرجل العظيم ولكننا نقدمها إلى الأمة العربية فهي صاحبة المصاب في مختلف أقطارها)).

أما الصحافة العراقية الموالية للانقلاب فكان موقفها مشينا معيبا مخزيا، وعاتبتها جريدة ((اللواء)) الفلسطينية بقولها: ((لو أن ممثلا في هوليوود، أو مصارعا في المكسيك، أو مشعوذا في الهند، ماتوا لكان نصيبهم من الرثاء أفضل من نصيب الهاشمي في الصحافة العراقية)).



اللورد كارادون (هيو ماكنتوش فوت) - مندوب بريطانيا الدائم في الأمم المتحدة وصاحب القرار ٢٤٢ الشهير- (١٩٠٧ -١٩٩٠)

-١٤-

حوار مفتوح مع اللورد كارادون(*)

في سنة ١٩٦٤ كنت لا أزال في عملي ملحقا صحافيا بسفارة العراق في لندن. وكان اللورد كارادون (١٩٠٧-١٩٩٠) يدعى في تلك الأيام بالسير هيوفوت أثناء شغله لمنصب وزير الدولة للشؤون الخارجية في عهد حكومة هارولد ويلسون العمالية، ثم أصبح لوردا بمكرمة ملكية في مرحلة لاحقة من حياته العملية.

تقلب في مناصب رفيعة عديدة، كان حاكما عاما في ليبيا أثناء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥)، وقبلها خدم بلاده في فلسطين، وفي نيجيريا وجامايكا وقبرص، إلى أن أصبح مندوبا دائما للملكة المتحدة في الأمم المتحدة ورئيس وفدها إلى تلك المنظمة، حيث تنسب إليه صياغة القرار الشهير (٢٤٢) الذي صدر بعد حرب حزيران عام ١٩٦٧ والذي لا يزال يعتبر الأساس لجميع التحركات السياسية لحل القضية الفلسطينية.

كان اللورد كارادون رجلا صاحب قيم وقناعات ومبادئ يحب بلاده ولكنه يحترم نفسه، وعندما شعر أن السياسات الرسمية التي تنتهجها الحكومة البريطانية أصبحت تتعارض وتتضارب مع قناعاته الشخصية والقيم الأخلاقية التي يلتزم بها والمبادئ الإنسانية التي يحرص عليها، اتخذ

(*) العرب اليوم- عمان- الأربعاء ٢٠٠٩/٠٩/١٦ ص٢٠.

قرارا شجاعا واستقال من منصبه الرسمي، وترك الخدمة العامة محتفظا بمقعده في مجلس اللوردات.

لم يكن اللورد كارادون وحيدا في هذا الموقف. فقبله استقال أنتوني ناتينغ من منصبه كوزير دولة للشؤون الخارجية من حكومة المستر أيدن المحافظة احتجاجا على العدوان الثلاثي على مصر في سنة ١٩٥٦، وكان مرشحا أن يكون خليفة أيدن ونجما صاعدا في حزب المحافظين، وبعده استقالت الوزيرة كلير شورت من حكومة بلير العمالية احتجاجا على الحرب ضد العراق في سنة ٢٠٠٣.

من مفاخر اللورد كارادون أنه أشرف على استقلال قبرص بوصفه آخر حاكم بريطاني عام (١٩٥٧-١٩٦٠) وقام بتسليم السلطة إلى أول رئيس قبرصي للجمهورية الأسقف ماكاريوس الذي أصبح وجها لامعا وبارزا في حركة عدم الانحياز التي ضمت في ذلك الحين قيادات تاريخية في حركة التحرر العالمية من أمثال جمال عبد الناصر ونهرو وشو أن لاي وسوكارنو وتيتو ونكروما.

روى اللورد كارادون سيرته العملية والعامة في كتاب من تأليفه بعنوان (بداية للحرية- الناشر هودر وستاوتون- لندن- ١٩٦٤) وطالعت الكتاب مطالعة ملية متأنية. واستوقفتني فقرة معينة بالذات.

يقول المؤلف في ص ٥٧ ما يلي بالحرف الواحد: ((بعد سنوات عديدة لاحقة شاهدت في قبرص مرة أخرى صراعا بين مطلبين قوميين. ولم أستطع أن أنسى ما حدث في فلسطين، وطيلة المدة التي قضيتها في قبرص

حاكما عاما، كان شغلي الشاغل وهاجسي الوحيد الحاجة إلى أخذ زمام المبادرة السياسية والاحتفاظ بها، وأن أتفادى مهما كانت التكاليف التقسيم الدموي الذي عانته وكابدته فلسطين)).

عندما دعاني القسم العربي بهيئة الإذاعة البريطانية (البي. بي. سي) إلى لقاء مفتوح مع اللورد كارادون بتاريخ ٢٦ أيار ١٩٦٤، يبث على الهواء مباشرة. أدركت منذ الوهلة الأولى أن هذا الحوار سيكون مفيدا للقضية الفلسطينية من الناحية الإعلامية، لذلك لم أتردد أبدا، بل وافقت فورا، ونشرت الحوار بكامله في المجلة الشهرية التي كنت أصدرها باللغة الإنجليزية من الدائرة الصحافية ((عدد شهر تموز سنة ١٩٦٤- مطبعة ستيفن أوستن - هرتفورد).

في سياق حوار طويل ومتشعب دار بيني وبين اللورد كارادون، يضيق المجال هنا عن استيعاب تفاصيله، أجابني على أحد أسئلتي كما يلي بالحرف الواحد: ((سأكون صريحا وواعيا تماما بمسؤوليتي أمام ضميري، المسؤولية الأولى والأكبر للوضع المؤسف الذي نشأ في فلسطين تقع على عاتق السياسة الخاطئة التي انتهجتها الحكومة البريطانية. وأنني أشعر بالعار لما فعلته بلادي في ذلك الجزء من العالم. أما بالنسبة إلى موقفي تجاه مشروع تقسيم فلسطين، فأعتقد أنه واضح من موقفي اللاحق تجاه التقسيم في قبرص عندما كنت حاكما وقائدا عاما للقوات البريطانية في تلك الجزيرة التي نالت استقلالها على عهد حاكميتي. لقد عارضت التقسيم في فلسطين كما عارضته في قبرص)).

رحم الله اللورد كارادون كان رجلا نبيلا في الخلق والسلوك قبل أن يكون نبيلا في الحسب والنسب، وإنسانا متفهما منصفا وإداريا قديرا متميزا، وموظفا حكوميا بريطانيا مسؤولا جديرا بالتقدير الفائق والاحترام الجم، ويستحق أن يتذكره المرء بالخير.



اللورد فليت (كينيث ثومبسون) - مالك (التايمز) اللندنية و(الصنداي تايمز) - (١٩٢٣ - ٢٠٠٦)

-١٥-

حوار مفتوح مع اللورد ثومسون(*)

بعد الأحداث العنيفة التي شهدتها بغداد في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ التي يسميها القوميون ((الحركة التصحيحية)) ويسميها البعثيون ((الردة التشرينية)) طلبني عبد الرحمن البزاز، الذي كان في حينه سفير العراق في لندن للعمل بمعيته، فاتحني وزير الثقافة والإرشاد في ذلك الوقت عبد الكريم فرحان، أحد أبرز قادة الكتلة القومية في الجيش العراقي، فوافقت وزودني الوزير بصلاحيات مالية وإدارية واسعة تقتضيها مهمتي في لندن وأصبحت لدي دائرة متكاملة نشيطة فعالة.

كان البزاز على حق في استدعائي كان قراره صائبا وتقديره صحيحا، لأنني عندما وصلت إلى لندن وجدت نفسي في بيئة صالحة تماما للعمل الوظيفي الرسمي الذي أخذته على عاتقي فضلا عن معرفتي الوثيقة باللغة الإنكليزية والحياة البريطانية.

وعلى سبيل المثال لا الحصر، كان المراسل الدبلوماسي في إحدى كبريات الجرائد اليومية(الفاينانشال تايمز)، ليس شخصا آخر غير (كريستوفر جونستون)أستاذي القديم في جامعة أكسفورد الذي تولى

(*) العرب اليوم- عمان- الأربعاء ٢٠٠٩/٠٩/٣٠ ص٢٠.

تعليمي اللغة اليونانية الكلاسيكية، كما كان صديقي الشخصي وزميلي في الدراسة بجامعة أكسفورد ((غاري أرنوت)) رئيسا للتحرير في ((الانفسترز كرونيكل)) إحدى أشهر الدوريات في عالم الاقتصاد والمال. وكان الكاتب الأديب الأستاذ ادوارد عطية صديقا عزيزا مشتركا بيني وبين ((تيد هودجكن)) رئيس تحرير جريدة (التايمز) اللندنية، وكان يقال في ذلك الوقت أن بريطانيا يحكمها ثلاثة أشخاص هم: رئيس الوزراء ومحافظ البنك المركزي ورئيس تحرير جريدة (التايمز). وأخبرني الأستاذ ادوارد عطية أن (تيد هودجكن) قال ذات مرة أنه لا يطالع في العادة النشرات التي تصدرها السفارات الأجنبية في لندن باستثناء ما يصدر عن سفارتين هما السفارة الأمريكية التي يطالع نشراتها لأسباب واضحة، والمجلة الشهرية التي تصدر باللغة الإنجليزية عن الدائرة الصحفية بالسفارة العراقية، لأنها ممتعة ومفيدة ومثيرة للاهتمام.

كان من الواضح أن العلاقات الاجتماعية والصداقات الشخصية التي تنشأ في الأجواء الدراسية بجامعة أكسفورد أو ما يسمونه (الزمالة الأكسونية) تلعب دورا فاعلا في الحياة البريطانية العامة وتحتل مكانا ملحوظا في أولويات التعامل اليومي. هذا من جهة ومن جهة أخرى، كانت الصحافة البريطانية في تلك الفترة تتمتع بفسحة واسعة ودرجة عالية من الحرية والاستقلالية والمهنية. وكانت سلطة رابعة حقيقية بالفعل إلى جانب السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية.

في ضوء تلك الخلفية، تلقيت دعوة كريمة ومشكورة من القسم العربي

بهيئة الإذاعة البريطانية للمشاركة في حوار مفتوح يبث على الهواء مباشرة مع اللورد ثومسون بتاريخ ٢٣ آذار سنة ١٩٦٤ حول الصحافة البريطانية ودار بيني وبينه حوار طويل ومتشعب يضيق المجال هنا عن تفاصيله. وقد نشرته بالكامل في المجلة الشهرية التي تصدر باللغة الإنجليزية عن الدائرة الصحفية بسفارة الجمهورية العراقية (عدد شهر آذار سنة ١٩٦٤- مطبعة ستيفن أوستن- هرتفورد). ويمكن تلخيصه وعرضه بوجه عام.

ومن حق القارئ أن يتعرف على اللورد ثومسون ولو في سيرة خاطفة وجيزة. اللورد ثومسون ولد في عائلة متواضعة في كندا سنة ١٨٩٤ من أب اسكتلندي وأم إنجليزية . وكان أبوه حلاقا، وكانت العائلة في ضيق مادي.

فاضطر (روي هيربيرت ثومسون) كما كان اسمه في الأصل، أن يساعد عائلته بالنزول مبكرا إلى سوق العمل. فاشتغل بائعا متجولا ومزارعا وكاتب طابعة ومحاسبا على التوالي. واستطاع بعرق جبينه وكدح يمينه أن يبني إمبراطورية صحافية ضخمة متعددة الأطراف والجوانب على امتداد عدد من القارات.

كان اللورد ثومسون مليونيرا عصاميا بكل معنى الكلمة، ونال اللوردية بمكرمة ملكية اعترافا بأعماله وأفضاله. وعندما حاورته في لندن سنة ١٩٦٤ كان في الخامسة والستين من عمره، ويمتلك أشهر جريدتين من كبريات الجرائد البريطانية هما: ((التايمز)) اليومية و ((الصنداي تايمز)) الأسبوعية.

تلخيص الأسئلة - هل من الحيادية والاستقلالية والموضوعية أن تتعامل الصحافة البريطانية مع الردود والرسائل والتعليقات العربية بالتجاهل والإهمال؟ هل من مصلحة الشعب البريطاني أن تعرض عليه وجهة نظر واحدة معينة في شؤون الشرق الأوسط، وتحجب عنه وجهة نظر أخرى مختلفة ومخالفة.؟ هل يصح أن يبقى الشعب البريطاني جاهلا بحقائق الوضع على الأرض في المنطقة العربية من العالم؟

تلخيص الأجوبة- ليس لدي سابق علم بهذا الوضع. وإذا كان الوضع كما تقول فسيكون ذلك مدعاة للدهشة والأسف: وسأتخذ فورا من الخطوات والتدابير ما يعيد التوازن ويصحح الموقف في الجرائد التي املكها. ليس من شأن الصحافة أن تلقن القارئ كيف يفكر وماذا يختار. بل من شأنها أن تزوده بالحقائق والمعلومات الكاملة ومواقف جميع الأطراف تاركة للقارئ حرية التفكير والاستنتاج واختيار الموقف المناسب.

الدرس المستفاد- ليس من الحكمة أ المصلحة أو الضرورة أن تدع العداء السياسي وحتى الصراع المسلح يعميان أبصارنا وبصائرنا عن رؤية الفضائل الموضوعية والجوانب الإيجابية في المجتمع البريطاني. وإذا تذكرنا بلير وفعلته النكراء في العراق، فينبغي أن نتذكر أيضا الملايين من المواطنين البريطانيين الشرفاء الذين خرجوا إلى الشوارع احتجاجا على الحرب، وتعبيرا عن رفضهم لها وتنديدهم بها. طوبى لمن قرأ ففهم، وسمع فوعى وارعوى وأبصر فاستبصر وتفكر واعتبر وتدبر.

-١٦-

من أكسفورد إلى لوكسمبورغ: أيام في مواجهة العنصرية(*)

كان عملي الدبلوماسي ونشاطي الإعلامي، دفاعا عن فلسطين في بريطانيا في الفترة ١٩٦٣-١٩٦٧ معروفا تماما لدى جمهرة كبيرة من المواطنين العرب. وكنت القي محاضرتين سنويا إحداهما في يوم فلسطين الذي يعقده الاتحاد العام للطلاب العرب في بريطانيا والأخرى في كلية الأركان البحرية الملكية البريطانية في كرينيج بدعوة من آمرها، فضلا عن المحاضرات التي كنت ألقيها في الجامعات البريطانية والمنظمات الشعبية والمؤسسات الأهلية.

الملحق العسكري صديق العمر قائد اللواء المدرع العاشر الذي دخل إلى بغداد صبيحة ١٨ تشرين الثاني سنة ١٩٦٣ العميد الركن الدكتور خالد حسن فريد(**) كان سندي المتين وظهيري الأمين في السفارة يحميني من غائلة السوء وجائحة الحسد. وعندما أعلنته الخارجية البريطانية شخصا غير مرغوب فيه وأخرجته من البلاد بعد قضية العريف آلن وخطط وزارة

(*) العرب اليوم- عمان- الأربعاء ٢٠٠٩/١٠/٠٧ ص٢٠.

(**) كان هذا الكتاب مازال مخطوطا عندما ورد النبأ المؤسف من بغداد بوفاة هذا الصديق العزيز. انظر التفاصيل في الملاحق التي وضعتها في أخر هذا الفصل- المؤلف.

الدفاع البريطانية المتعلقة بشرق البحر المتوسط التي نشرها الأستاذ محمد حسنين هيكل في سلسلة مقالاته (بصراحة) وأحدثت ضجة كبرى في حينه، بدأت الصحافة الصهيونية تهاجمني شخصيا بالاسم الصريح هجوما مباشرا ظهر واضحا في (الجويش كرونيكل) و (الجويش أوبزرفر) وتتساءل في تحريض سافر واستعداء مكشوف: لماذا أخرجتم الملحق العسكري وأبقيتم الملحق الصحفي؟

افتقدت الصديق العزيز العميد الركن الدكتور خالد حسن فريد. لأنني ما ألقيت محاضرة عن فلسطين إلا وكنت أجده جالسا في الصف الأمامي الأول من القاعة ومن مكارم السفير عبد الرحمن البزاز أنه أكرمه وأقام حفلة وداعية على شرفه: ضمت نخبة من السفراء والملحقين العسكريين العرب في المملكة المتحدة، مما أحدث أطيب وقع وأجمل أثر.

وعندما انتخبت رئيسا للهيئة الإدارية بفرع التعليم العالي في نقابة المعلمين العراقيين سنة ١٩٨٢ أصبحت بحكم هذا الموقع ممثلا للنقابة وعضوا في مجلس جامعة بغداد. وفي أول اجتماع للمجلس بعد فوزي في انتخابات نقابة المعلمين رحب بي رئيس جامعة بغداد في ذلك الوقت الصديق العزيز طه النعيمي وتمنى لي التوفيق والنجاح، وأردف قائلا: أريد أن أخبركم بواقعة ستفاجئ الدكتور مشتاق، كنت طالبا في لندن وكان ملحقا صحافيا في سفارة العراق. وكان يأتي إلينا في كليتي العلمية ويلقي علينا محاضرات عن فلسطين باللغة الإنجليزية. كان يهاجم الصهيونية في قاعة تغص بحشود كثيفة من الصهاينة. وخشينا أن يتعرض إلى أذى أو

اعتداء فقمنا بتأليف فريق للحماية الشخصية يتألف من طلاب عراقيين وعرب، وكنت أنا رئيس هذا الفريق. وهذه هي المرة الأولى التي يعرف فيها الدكتور مشتاق بوجود ذلك الفريق. لأننا لم نطلعه أو نستأذنه في حينه.

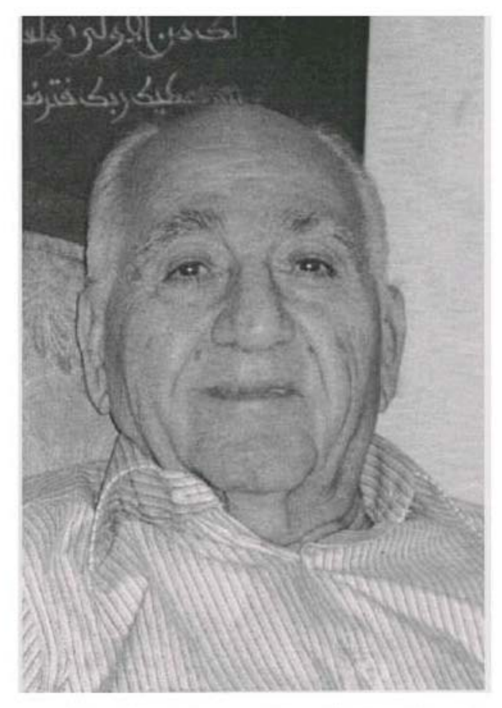
ذات يوم من سنة ١٩٧١ استدعاني الصديق العزيز عبد الكريم الشيخلي وزير الخارجية، وسألني أن أقوم بتمثيل العراق في مؤتمر حول التمييز العنصري تعقده الأمم المتحدة في لوكسمبورغ منتصف شهر أيار سنة ١٩٧١، وكنت يومها أستاذا بقسم الفلسفة في جامعة بغداد، أما المرحوم الشيخلي فقد اغتيل غيلة وغدرا سنة ١٩٨٠ في وضع مأساوي على مشهد ومسمع من زوجته الحامل.

درست وثائق وأوراق المؤتمر بعناية. وأمعنت النظر بوجه خاص في بيانات الوفد الإسرائيلي، وأعددت ردودي وملاحظاتي مسبقا، وتصديت للأكاذيب المعادية والدعاوي الباطلة ببيان مطبوع وخطاب مسموع. وفندت المزاعم الصهيونية بعقلانية وهدوء وأدب، مما أسعد الأصدقاء وأغاظ الأعداء، ونشر البيان الذي ألقيته بالكامل في كتاب باللغة الإنجليزية يحمل عنوان (فلسطين في محاضرات حازم مشتاق- جامعة بغداد- مطبعة العاني- بغداد- سنة ١٩٧٦) طبعته جامعة بغداد مشكورة على نفقتها.

كان رئيس الوفد الإسرائيلي (بنجامين أكسين) رئيس جامعة حيفا في ذلك الوقت، وكان أستاذا أكاديميا وقورا ورجلا كبيرا في السن وقد عاملته وناقشته في المؤتمر بطريقة مهذبة ذكية لبقة دقيقة، لا يعوزها الاحترام، ولكن ينقصها الود. وتذكرت مثال تشرتشل الذي أعلن الحرب على ألمانيا في

١٩٣٩ بوثيقة يبدأها بعبارة (صاحب الفخامة أدولف هتلر مستشار الرايخ) ويختمها بعبارة (خادمكم المطيع ونستون تشرتشل) فاحتج بعض أعضاء مجلس العموم، فأجابهم بقوله (إنني أريد أن أقتل هتلر، ولكن هذا لا يعني أن أكون قليل الأدب).

وبعد الجلسة الختامية استوقفني رئيس الوفد البريطاني، وبادرني بالقول: اثنان تكلما في هذا المؤتمر بلغة إنجليزية متينة خالصة، أنا وأنت. وأنا السير فلان الفلاني (لم يعد اسمه يخطر على بالي الآن) فمن أنت؟ أجبته على الفور: أنا ابن أكسفورد. فتهللت أساريره وارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة. وقال: حسنا يا بني قل ما شئت وتكلم كما تريد.



العميد الركن الدكتور خالد حسن فريد (1925 - 2010)

قائد اللواء المدرع العاشر في الجيش العراقي (1962-1964)- الملحق العسكري بسفارة العراق في لندن (1964-1966)

بسم الـلـه الرحمن الرحيم

نعي بطل قومي عسكري عراقي(*)

الأستاذ الدكتور حازم طالب مشتاق ينعى خاشعا دامعا، فقيد العراق والعروبة، صديق عمره، ورفيق دربه، البطل القومي العسكري العراقي، ابن الأعظمية البار، قائد اللواء المدرع العاشر الشهير في الجيش العراقي السابق،

المرحوم بإذن الـلـه

العميد الركن الدكتور

خالد حسن فريد

الذي لم يسأل يوما: ماذا أعطاني وطني؟

بل سأل دوما: ماذا أعطيت وطني؟ وكان في جميع المواقع التي شغلها والمهمات التي تولاها مثالا للعسكري المتميز والجندي الأصيل، دفاعا عن شرف الجندية، وفضائل الفروسية، والتقاليد العسكرية، العراقية والعربية العريقة، والقيم والمبادئ والثوابت الوطنية والقومية والأخلاقية.

ويبتهل إلى الـلـه عزوجل أن يشمله برحمته الواسعة وأن يدخله إلى فسيح جناته مع الشهداء والأبرار والطيبين وأن يلهم أصدقاء الفقيد وذويه وإخوانه ومحبيه وعارفي فضله ما يحتاجونه من صبر جميل على هذا المصاب الفادح الأليم.

إنا لـلـه وإنا إليه راجعون

(*) العرب اليوم- عمان- الاثنين ٢٠١٠/٤/١٢ ص٣٠.

بسم اللـه الرحمن الرحيم

مجلس عزاء في عمان للمرحوم

المناضل القومي العميد الركن الدكتور خالد حسن فريد (**)

بمزيد من الحزن والأسى

بنعى التيار القومي العربي في العراق بوجه خاص، والقوميون والوطنيون العراقيون بوجه عام، المناضل القومي والعروبي الأصيل والعسكري المتميز،

المرحوم بإذن اللـه

العميد الركن الدكتور خالد حسن فريد

الذي انتقل إلى رحمة اللـه في بغداد فجر الاثنين بتاريخ ٢٠١٠/٤/٥ على إثر نوبة قلبية حادة مفاجئة

والمرحوم من مواليد الأعظمية في بغداد سنة ١٩٢٥، وخريج الكلية العسكرية العراقية سنة ١٩٤٩، وخريج كلية الأركان العراقية سنة ١٩٥٧، وأكمل دورة في كلية كمبرلي للأركان في بريطانيا سنتي ١٩٥٨ و ١٩٥٩، و دورة أركان في الاتحاد السوفيتي سنة ١٩٦٠، وتولى قيادة اللواء المدرع العاشر الشهير في الجيش العراقي السابق في الفترة ١٩٦٣ -١٩٦٤، وكان ملحقا عسكريا بسفارة العراق في لندن في الفترة ١٩٦٤ -١٩٦٦. وحصل

(**) العرب اليوم – عمان – الأربعاء ٢٠١٠/٤/١٤ – ص ٣٠

على شهادة في القانون من كلية الحقوق العراقية سنة ١٩٦٨، ونال شهادة الدكتوراه في العلاقات الدولية من جامعة براغ سنة ١٩٧٥، وداهم الاحتلال الأمريكي مسكنه عدة مرات في بغداد في السنوات الأخيرة، وصادر وثائقه وأوراقه ومذكراته وحتى شهاداته المدرسية والمهنية والعلمية، مما حز في نفسه وآلمه كثيرا.

هذا وتقيم الجالية العراقية في الأردن مجلس الفاتحة على روحه الطاهرة يوم الجمعة الموافق ٢٠١٠/٤/١٦ في جامع الصالحين في الرابية من الساعة ٦-٩ مساء ولمدة يوم واحد.

رحمه الله وأسكنه فسيح جناته والهم ذويه ومحبيه الصبر والإيمان

إنا لله إليه راجعون



البطل الفلسطيني والمناضل القومي العربي شهيد القسطل عبد القادر موسى كاظم باشا الحسيني قائد جيش الجهاد المقدس (١٩٠٧ – ١٩٤٨)

-١٧-

عبد القادر الحسيني سيد شهداء فلسطين(*)

في صبيحة الثامن من نيسان سنة ١٩٤٨، استشهد البطل الخالد قائد جيش الجهاد المقدس عبد القادر الحسيني على أرض القسطل وفي سنة ١٩٥١ كتبت عنه مقالا بعنوان ((رجل تضحية وبطل أمة)) في مجلة ((العروة الوثقى)) وكنت يومها طالبا في الجامعة الأمريكية في بيروت ((العروة الوثقى – عدد ممتاز ٤ و ٥ بيروت- أيار- ١٩٥١- الصفحات ٤٦-٥٠)).

في سنة ١٩٦٧ عندما أصبحت رئيسا للتحرير في كبرى جرائد العراق في ذلك الوقت، جريدة ((الثورة)) كتبت مقالا افتتاحيا بعنوان ((هذا الشبل من ذاك الأسد)) بعد أن اعتقل الصهاينة فيصل بن عبد القادر الحسيني.

ولكنني مهما قلت وكتبت لا يمكن أن أبلغ عشر معشار حسن التعبير وجمال المعنى ما بلغه الوالد المرحوم طالب مشتاق في خطاب تأبين صديقه عبد القادر الحسيني في بغداد بتاريخ ١٩٤٨/٠٦/٢٦ مما لم ينشر من قبل قال طالب مشتاق في تأبينه: ما كنت أعرفه شخصيا حتى سنة ١٩٣٨، وإنما سمعت بمناقبه خلال ثورة فلسطين سنة ١٩٣٦، وما كان ليعرفني شخصيا وإنما سمع كثيرا عن تعلقي بالقضية الفلسطينية وجهودي في سبيلها في مختلف ظروفها وتطورات قضيتها. إذن كنا نعرف بعضنا بعضا، وأن كانت

(*) العرب اليوم- عمان- الأربعاء ٢٠٠٩/١٠/١٤ ص٢٠.

الأعين منا لم تلتق ببعض، فكانت فلسطين حلقة وصل بين شخصينا وكانت محبة فلسطين سبب اللوعة في قلبينا.

دخل مكتبي في يوم من أيام سنة ١٩٣٨ الصديق أبو الهدى اليافي المحامي من الشام وقد كنت إذ ذاك قنصلا للعراق في بيروت، وكان برفقته شاب قصير القامة وسيم الطلعة ذو نظرات نفاذة تنم عن ذكاء حاد ورجولة كامنة. فقدمه الأستاذ اليافي إلي وقال: ألا تعرفه.؟ فقلت: مع الأسف، قال: هذا عبد القادر الحسيني نجل المغفور له موسى كاظم باشا الحسيني، قلت: أهلا وسهلا يا مرحبا. فهذا الشبل من ذاك الأسد. قال: وقد جئناك لأمر مهم طالبين منك النجدة.

قلت: كل شيء يهون في سبيلكم إن شاء الله. قال: أنت تعلم أن الإنجليز قد حكموا على عبد القادر بالإعدام. وهم الآن يستطلعون أخباره ويتعقبون خطواته كما أن الفرنسيين أيضا يحاولون إلقاء القبض عليه وتسليمه إلى أعدائه.

يضيف طال مشتاق: ما كان في إمكاني أن أتردد برهة واحدة. كان واجبي في تلك اللحظة أن أنقذ حياة عبد القادر هذا الجندي العربي المقدام بأي ثمن كان.

لقد صممت وكان تصميمي جديا بأن أخرج عن حدود صلاحياتي وأخالف أوامر حكومتي. ومتى كانت الوظيفة بالنسبة لي إطاعة عمياء لأوامر الحكومة وتنفيذ أوامرها من دون قيد أو شرط؟ ومتى كانت الصلاحية تعيقني عن أداء واجب وطني؟ أليس مغزى الوظيفة بالنسبة لي هو الخدمة العامة؟ وأية خدمة عامة أعظم من الضرب على يد الجلاد

ومنعه من إراقة دم زكي طاهر كدم هـذا المتطـوع الجـريء لخدمـة الأمـة العربيـة والمدافع عن حقها المغتصب والذائد عن حياض الوطن الجريح؟.

ناديت على الموظف وطلبت منه أن يأتيني بجواز سفر غير مستعمل وأخذت القلم بيدي وصرت أملأه اسمك محمد بعد اللطيف أفهمت يا عبد القادر؟ محمد عبد اللطيـف وعمرك ٣٥ عاما ومحل ولادتك الأعظمية.

وهكذا أصبح عبد القادر عراقيا في مدة لا تتجاوز ربع سـاعة. فناولتـه جـواز سـفره بيده، واتصلت ببعض شركات النقل بالشام. وبعد يومين اثنين كان عبد القادر الحسـيني أو (محمد عبد اللطيف) يطوف شوارع بغداد هازئا بالإنجليز ساخرا من الفرنسيين.

وأضاف والدي: ثم مضت الأيام وتتابعت السـنون، وإذا بمعتقـل العـمارة يجمعنـي بالصديق عبد القادر الحسيني الذي ناضل نضال الأبطال في صفوف الجـيش العراقـي ضـد البريطانيين سنة ١٩٤١ وعارك الإنجليز عراك المستميت في سبيل نصرة الحـق عـلى الباطـل ودعم الضعيف الأبي ضد القوي الغاشـم.. وفي معتقـل العـمارة كـان الحسـيني مـثلا رائعـا للقومي الصابر. فما رأيته يتأفف وما شاهدته يتذمر....

هذا بعض ما قاله والدي طالب مشتاق في تأبين الشهيد عبد القادر الحسيني. رحم اللـه أمثال هؤلاء الرجال الذين تفتقدهم الأمة في هذه الأيام العصيبة.

-١٨-

من الدراسات اليونانية إلى الدراسات الإستراتيجية(□) *

كانت حرفتي الجامعية ومهنتي الأساسية هي الدراسات اليونانية وكانت هوايتي القديمة ومتابعتي المزمنة هي الدراسات الإستراتيجية ولكن الأقدار تأتي أحيانا بما لا يخطر على البال ولا في الخيال. وهكذا وجدت نفسي فجأة في الفترة (١٩٧٥-١٩٨٢) من القرن الماضي وقد أصبحت حرفتي فكرا مجردا وترفا ثقافيا، وأصبحت هوايتي واجبا وطنيا وعملا ميدانيا. تحولت حرفتي إلى هواية، وتحولت هوايتي إلى حرفة.

وصرت في هذا السياق أتابع وأناقش وأكتب الأبحاث والدراسات وألقي الأحاديث والمحاضرات. وكانت مطالعاتي المشبوبة والمتلهفة قد شملت ما قدمه المفكر البريطاني السير باسيل ليدل هارت في كتابه المعنون (الإستراتيجية نظرية ومنهجية الاقتراب غير المباشر) وترجمت كتابه المعنون (لماذا لا نتعلم من التاريخ) والمفكر الأمريكي ادوارد لوتفاك في كتابه المعنون (الإستراتيجية: منطق الحرب والسلام) الذي نقلته إلى العربية. والمفكر الألماني كلاوزوفيتز في كتابه المعنون (دراسة عن الحرب) والمفكر الصيني صن- تزو في كتابه المعنون (فن الحرب) الذي وضعه سنة ٥٠٠ ق. م. والذي نقلته أيضا إلى العربية. كذلك ترجمت كتابا من تأليف هنري

(□) العرب اليوم- عمان- الأربعاء ٢٠٠٩/١٠/٢١ ص٢٠.

كيسنجر بعنوان (الإستراتيجية الأمريكية ودبلوماسية الولايات المتحدة).

وفي تلك الفترة أدرت ندوتين إستراتيجيتين متخصصتين إحداهما عن (إيران الجارة الشرقية) والأخرى عن (تركيا الجارة الشمالية) وقد ظهرتا مطبوعتين في كتابين. وفي هاتين الندوتين وندوات أخرى يضيق المجال المتاح عن تفاصيلها. شارك سفراء سابقون ودبلوماسيون قدماء وأساتذة جامعيون كانوا جميعا من ذوي المعرفة والخبرة والتجربة.

جمعت ما كتبته من أبحاث ودراسات وما ألقيته من أحاديث ومحاضرات في كتابين. صدر إحداهما سنة ٢٠٠٩ عن دار دجلة في عمان بعنوان (المنهج التاريخي من المفهوم الأيديولوجي إلى المفهوم الإستراتيجي) وسيصدر الآخر قريبا عن دار دجلة في عمان أيضا بعنوان (التاريخ فكرا إستراتيجيا وأدبا قصصيا).

وأتجرأ على القول في هذا المقام أن دراسة التاريخ هي المدخل الحقيقي الصحيح للعلوم السياسية والدراسات الإستراتيجية.

كنت أذن بكامل الأهبة وتمام الاستعداد عندما استدعاني الصديق العزيز نزار حمدون الوكيل الأقدم للخارجية العراقية ذات يوم من سنة ١٩٨٩ وسألني أن أقوم بتمثيل العراق في مؤتمر دولي عن أسلحة الدمار الشامل في الشرق الأوسط تعقده مؤسسة كارنيجي الأمريكية في مدينة بيلاجيو الإيطالية على ضفاف بحيرة (كومو) في شهر تشرين الأول من تلك السنة.

وعندما سألته عن تعليمات الخارجية العراقية في هذا الصدد، ابتسم

وأجابني بقوله: نحن نعطيك تعليمات يا دكتور حازم؟ أنت الذي تعطينا التعليمات!.

أعددت البيان الذي سألقيه باللغة الإنجليزية وراجعته مراجعة ملية متأنية دقيقة بالنظر إلى خطورة الوضع وحراجة الموقف. ونشر بالحرف الواحد في كتاب مطبوع أصدرته مؤسسة كارنيجي عن وقائع المؤتمر (مطبعة سانت مارتن - نيويورك - ١٩٩٢ - الصفحات ١١٣/١١٩).

كان جيفري كمب المنسق العام للمؤتمر زميلا أقدم في مؤسسة كارنيجي وشخصية سياسية أمريكية بارزة ويعمل اليوم مديرا للبرامج الإستراتيجية الإقليمية في مركز نيكسون، وتخرج من جامعة أكسفورد سنة ١٩٦٥.

وأفاد في المقدمة التي كتبها سنة ١٩٩١ عندما كانت بغداد تتعرض إلى قصف همجي غادر رهيب ما يلي بالحرف الواحد:

((أحد الذين شاركونا في تأليف هذا الكتاب كان الأستاذ الدكتور حازم طالب مشتاق من جامعة بغداد. ولا ندري ماذا حدث له وماذا حل به. ولم نتمكن من الاستعلام عنه والاطمئنان عليه، ولكننا نعتقد أنه قد عرض وجهة نظر عراقية عرضا واضحا وموضوعيا ودقيقا ومثيرا للاهتمام)).

أوضحت في بياني بالحد الأقصى من التأكيد، وبما لا يدع مجالا للشك، أن العراق لا يمتلك أسلحة دمار شامل، ولا ينوي أن يمتلكها في المستقبل.

لم يقع كلامي على آذان صاغية وعقول واعية، وكان صرخة في واد ونفخة في رماد، لأن جلاوزة المحافظين الجدد كانوا قد ركبوا رؤوسهم وأمعنوا في غيهم وضلالهم، وعقدوا العزم منذ وقت مبكر بعيد على احتلال العراق وتمزيقه وتدميره وإذلال وتجويع وتشريد شعبه، غير عابئين بالحقائق ومهما كانت العواقب والتكاليف، وكان ما كان مما يعرفه كل إنسان ولن يطمسه الزمان أو يطويه النسيان.



المشير عبد الرحمن عارف - رئيس الجمهورية العراقية -

(١٩١٦ - ٢٠٠٧)

-١٩-

عبد الرحمن عارف في الذاكرة العراقية(*) (١-٢)

ليس من مصلحة الذاكرة الوطنية العراقية ولا من مصلحة المستقبل الواعد للأجيال الجديدة والقادمة، أن تمحى أو تحجب حقائق فترة حكم القوميين في الحقبة الجمهورية من تاريخ العراق الحديث. وأن يظلم الرئيس عبد الرحمن عارف وعهده والدور المشرف والنبيل الذي لعبه في مرحلة عصيبة من أخطر مراحل التاريخ العربي الحديثة بعد الخامس الأسود من حزيران المشؤوم سنة ١٩٦٧، وليس أسوأ من التشويه المقصود والتحريف المتعمد إلا التجاهل والتعامي والتناسي والتعتيم.

ولعل الحقيقة الإنسانية النهائية الكبرى التي تسلط الضوء على شخصيته وتدل دلالة واضحة على سيرته وسياسته هي أنه كان الرئيس العراقي الوحيد الذي مات في فراشه ميتة طبيعية (أو كما يقول العراقيون موت الله وليس موت الحكومة) في الحقبة الجمهورية التي بدأت بانقلاب ١٤ تموز سنة ١٩٥٨، وانتهت بدخول القوات المسلحة الأمريكية إلى بغداد في التاسع الأسود من نيسان المشؤوم سنة ٢٠٠٣. وقد توفي في عمان سنة ٢٠٠٧، ودفن في تشييع مهيب معززا مكرما راضيا مرضيا. بين ضباطه وجنوده من شهداء الجيش العراقي في مقبرتهم بالمفرق، وكان من دواعي اعتزازي أنني زرته قبيل وفاته بفترة وجيزة، وأخذني الصديق العزيز نجله

(*) العرب اليوم- عمان- الأربعاء ٢٠٠٩/١٠/٢٨ ص٢٤.

قيس إلى مقر إقامته في عمان وأسعدني أن ألتقي رئيسي القديم.

عندما كان عبد الرحمن عارف رئيسا للجمهورية في سنة ١٩٦٧، كنت رئيسا للتحرير في كبرى جرائد العراق في ذلك الوقت، جريدة (الثورة) وأشهد الآن لوجه الله إنصافا للرجل وتوثيقا للتاريخ أنه لم يحدث على الإطلاق ولا حتى مرة واحدة أن أمرني بالكتابة في موضوع معين، أو بالامتناع عن الكتابة في موضوع معين، أو تدخل في عملي بأي شكل من الأشكال. لا هو ولا رئيس الوزراء طاهر يحيى، ولا وزير الثقافة والإرشاد مالك دوهان الحسن الذي كان يشد من أزري ويحميني من الغوائل ولا غربي الحاج أحمد، الوجه العروبي الغيور ابن الموصل رئيس المؤسسة العامة للصحافة في ذلك الوقت.

كان هامش الحرية واسعا فسيحا إلى حد لا يصدق وغير مسبوق، حتى إن أحد الظرفاء ذهب إلى القول أن جريدة (الثورة) هي جريدة المعارضة وليست جريدة الحكومة.

في عهد بعد الرحمن عارف، وفي ضوء السياسة العامة للدولة وثوابتها الوطنية والقومية، ذهبت عضوا في الجانب الإعلامي من وفد رسمي يقوده رئيس الوزراء طاهر يحيى في زيارة إلى الكويت للتفاوض حول مشكلة الحدود، أكرمنا الأخوة الكويتيون وأحسنوا وفادتنا واستقبلونا بالود والترحاب واستضافونا في قصر السلام.

كان العزم معقودا لدى الجانب العراقي على التوصل إلى تفاهم ودي من خلال حوار أخوي، يرضي حقوق ومصالح الطرفين، وينزع هذه الشوكة الأليمة من خاصرة العلاقات العراقية- الكويتية مرة واحدة وإلى

الأبد. كان الوفد على استعداد مطلق للتفاهم وقابله استعداد حقيقي وصادق مماثل من الجانب الكويتي، وكان الوضع يبشر بالخير ويدعو إلى التفاؤل.

قابلني بناء على طلبه الصديق العزيز الدكتور أحمد الخطيب الرائد القومي المعروف والقيادي البارز في المعارضة الكويتية - الزميل القديم في الدراسة والسياسة بالجامعة الأمريكية في بيروت - ورجاني أن أنقل إلى طاهر يحيى قرار المعارضة الكويتية بتأييد ودعم ما يبرمه الطرفان الكويتي والعراقي من تفاهم، أو ما يعقدانه من اتفاق.

وأوضح أن المعارضة الكويتية تلتزم بالمطلق أن تمتنع عن استغلال أي تفاهم أو اتفاق سلبا ضد الحكومة بأي شكل من الأشكال. وأضاف أن المعارضة ستحيط الحكومة الكويتية علما بهذا القرار رغبة منها في تذليل العقبات وتسهيل المفاوضات.

نقلت هذه الرسالة على الفور إلى الرئيس طاهر يحيى فشكرني وطلب مني أن أنقل شكره إلى الدكتور أحمد الخطيب.

عدنا إلى بغداد ونحن نشعر بالارتياح للنتائج الإيجابية التي تحققت والانطباعات الحميدة التي تولدت، ولم تمض على عودتنا إلا فترة قصيرة نسبيا حتى وقع انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨، وكان ما كان.

رحم الله عبد الرحمن عارف الذي كان رئيسا رشيدا صالحا للجمهورية العراقية وابنا بارا للأمة العربية جديرا بالاحترام والإكرام، أنصفه وأحبه شعبه، ويستحق أن يتذكره بالخير تاريخ هذه الحقبة من الزمان العراقي والعربي.

(وللحديث صلة).

-٢٠-

عبد الرحمن عارف ودوره الوطني والقومي (*)(٢-٢)

كان الرئيس عبد الرحمن عارف ومنذ وقت بعيد وأمد طويل، جارا كريما وصديقا عزيزا للعم ثابت مشتاق العسكري العراقي الذي قاتل ببسالة في معركة جنين سنة ١٩٤٨ وعندما انتقل العم ثابت إلى رحمة اللـه في سنة ١٩٨٦ حضر عبد الرحمن عارف إلى مجلس العزاء وقرأ الفاتحة على روح صديقه. وقد ودعته بنفسي وسرت معه إلى سيارته الشخصية التي كان يقودها نجله الصديق العزيز الأستاذ قيس.

وكان الناس في تلك الفترة يعاملونه باحترام فائق ويخاطبونه بلقب (السيد الرئيس) وكان عارف وفيا إلى آخر المدى للأصدقاء القدماء والأصحاب الأحياء والزملاء السابقين.

أخبرني مؤخرا الصديق العزيز الأستاذ المتميز الدكتور عبد العزيز الدوري أنه كان زميلا في الدراسة الثانوية للرئيس عارف. ونشأت بينهما صداقة وطيدة امتدت على امتداد العمر، واستطرد قائلا: أنه كان رئيس جامعة بغداد عندما كان عبد الرحمن عارف رئيسا للجمهورية وأضاف: أنه لم يندم قط على معرفته بعبد الرحمن عارف الذي كان إنسانا محترما طيبا ودودا هادئا مهذبا منذ شبابه المبكر، ولم يحدث أن تهور في سلوك أو تفوه

(*) العرب اليوم- عمان- الأربعاء ٢٠٠٩/١١/٠٤ ص٢٤.

بعبارة جارحة وكلمة نابية. وهذه شهادة وفاء وحق يعتد بها ويركن إليها، صادرة من أستاذ جليل ومؤرخ رصين لا يصدر الأحكام جزافا ولا يلقي الكلام على عواهنه.

كانت فترة حكم القوميين في الحقبة الجمهورية من تاريخ العراق الحديث فترة فريدة من نوعها، تختلف اختلافا جذريا أساسيا عن الفترة التي سبقتها أو تلك التي تبعتها في الحقبة ذاتها.

بدأت فترة حكم القوميين بانقلاب ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ وانتهت بانقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨، وكان عهد الرئيس عبد الرحمن عارف الذي تولى السلطة دستوريا في فترة حكم القوميين سنة ١٩٦٦ عهدا فريدا من نوعه بامتياز في الحقبة الجمهورية.

امتازت فترة حكم القوميين في أحد أهم وأبرز خصائصها الإيجابية بخلوها المطلق وتحررها الشامل من القتل والاغتيال والإعدام في الحياة العامة والساحة السياسية، وبالمقابل، غاص العراق في بحار من الدماء في فترات سابقة وأخرى لاحقة، وشهد من المذابح والمظالم والأهوال ما تشيب له الولدان وتقشعر له الأبدان.

بدأ الرئيس عبد الرحمن عارف عهده بإغلاق جميع المعتقلات والسجون السياسية، وإطلاق سراح السجناء والمعتقلين السياسيين على اختلاف وتعدد أطيافهم وأحزابهم من دون تمييز ولا استثناء. وشهد العراق من شماله إلى جنوبه حالة من الهدوء والأمن والاستقرار لم يشهد ما يماثلها من قبل أو من بعد.

كانت حدود العراق في عهده هادئة. بما في ذلك الحدود مع إيران،

ومع تركيا، والحدود الجنوبية مع الكويت، لا تشوبها شائبة ولا يعكر صفوها حادث مؤسف.

وعندما أخبره جمال عبد الناصر بعد الخامس الأسود من حزيران المشؤوم أنه لا يملك مالا يدفع به رواتب الموظفين ولا خبزا يطعم به ملايين المواطنين، بادر عارف إلى القيام بجولة سريعة واسعة حملته إلى السعودية ودول الخليج التي كانت علاقاتها فاترة مع مصر في تلك الفترة . وأقنعها بتعويض مصر عن العائدات المفقودة من قناة السويس المسدودة.

سافر إلى موسكو في زيارة مشتركة مع الرئيس الجزائري هواري بومدين. وأقنعا الاتحاد السوفييتي بضرورة إعادة تسليح الجيشين المصري والسوري.

لعب دورا أساسيا في تأسيس القيادة العربية المشتركة بعد كارثة حزيران وترصين الجبهة الشرقية عسكريا، وتحريك الجحفل العراقي إلى المفرق بقيادة اللواء الركن محمود عريم الذي تولى القيادة بعده الصديق القديم اللواء الركن حسن النقيب.

إن رجلا هذه هي أعماله ومواقفه لا يمكن أن يجحده شعبه ولا أن تنساه أمته، رحم الله الرئيس عبد الرحمن عارف الذي كان وطنيا عراقيا أصيلا وقوميا عربيا غيورا ورجلا جديرا بالاحترام، ويستحق أن يتذكره تاريخ شعبه وبني قومه بالخير.



أمين هويدي سفير الجمهورية العربية المتحدة في بغداد ومن ثم وزير حربيتها ومدير مخابراتها - (١٩٢١ -٢٠٠٩)

-٢١-

أمين هويدي بطل قومي ومفكر إستراتيجي (*)(١-٢)

توفي في القاهرة صباح يوم السبت الموافق ٢٠٠٩/١٠/٣١ الصديق القديم العزيز أمين هويدي، وشيع إلى مثواه الأخير في موكب عسكري مهيب.

كان أمين هويدي رجلا مثقفا متواضعا طويل القامة، عريض المنكبين، باسم الطلعة، سريع البديهة، حاضر النكتة، وكان معروفا بين أقرانه السياسيين والدبلوماسيين بالاستقامة والنزاهة، كما كان معروفا لدى إخوانه العسكريين بالبسالة والشجاعة والبصيرة والفطنة.

بدأت معرفتي به ومحبتي له منذ ستينيات القرن الماضي عندما كان سفيرا للجمهورية العربية المتحدة في بغداد. وتوطدت صداقتنا في بغداد مع مرور الأيام وتعاقب التجارب.

عندما زار بغداد مع السيدة عقيلته في سبعينيات القرن الماضي، أسعدنا زوجتي وأنا أن ندعوهما إلى العشاء وكنت كلما سافرت إلى القاهرة لا يفوتني أبدا أن أزوره في بيته بمصر الجديدة، فيصطحبني إلى مكتبته العامرة، ونتبادل الذكريات والآراء والأحاديث.

كان آخر لقاء لي معه في عمان منذ بعض الوقت بصحبة الصديق

(*) العرب اليوم- عمان- الأربعاء ٢٠٠٩/١١/١١ ص٢٠.

هاني الهندي الرائد القومي المعروف والزميل القديم في الدراسة والسياسة بالجامعة الأمريكية في بيروت والوزير الأسبق في حكومة الجمهورية العربية المتحدة. وفي سياق هذا اللقاء اكتشفنا أننا على البعد قمنا بعمل واحد وهو ترجمة كتاب المفكر الصيني ((صن-تزو)) المعنون (فن الحرب) الذي وضعه سنة ٥٠٠ق.م. دون أن يدري أحدنا بعمل الآخر. وكان هذا دليلا غير متوقع على توافقنا الفكري واهتمامنا المشترك.

كان أمين هويدي من مواليد قرية بجيرم مركز قوينا محافظة المنوفية في مصر سنة ١٩٢١ وكان مدرسا في الكلية العسكرية وأستاذا في كلية الأركان ورئيس قسم الخطط في العمليات العسكرية بقيادة القوات المسلحة المصرية، وكان من خريجي كلية القيادة والأركان الأمريكية وهي أرقى كلية قيادة في الولايات المتحدة يدخلها أجنبي من أبوين غير أمريكيين، والهويدي حاصل على ماجستير في الصحافة والترجمة والنشر من جامعة القاهرة.

المرحوم أمين الهويدي هو من وضع خطة الدفاع عن بورسعيد وخطة الدفاع عن القاهرة في حرب ١٩٥٦ أثناء العدوان الثلاثي على مصر بعد تأميم قناة السويس.

اختاره جمال عبد الناصر رئيسا للمخابرات العامة ووزيرا للحربية في وقت واحد بعد كارثة حزيران ١٩٦٧ في سابقة لم تعرفها مصر من قبل، وكانت غاية عبد الناصر من ذلك إعادة بناء القوات المسلحة المصرية بعيدا عن مراكز القوى التي أدت صراعاتها إلى حدوث ما حدث في الخامس الأسود من حزيران المشؤوم سنة ١٩٦٧.

((وللحديث صلة))

-22-

أمين هويدي بطل قومي ومفكر إستراتيجي(*)(٢-٢)

أنيطت بأمين هويدي مسؤوليات وزارة الحربية والمخابرات العامة في الجمهورية العربية المتحدة (مصر) بعد كارثة الخامس الأسود من حزيران المشؤوم. وفي هذه الفترة أشرف على عملية مهاجمة وإغراق المدمرة الإسرائيلية (إيلات) في المياه الإقليمية قبالة السواحل المصرية في ٢١ تشرين الأول سنة ١٩٦٧. وكنت يومها رئيس تحرير جريدة (الثورة) في بغداد، ولم أعرف أن أمين هويدي كان المشرف على تلك العملية. لكنني أدركت أنها ستؤدي إلى ارتفاع هائل في المعنويات العربية الجريحة.

فصدر عدد جريدة (الثورة) في اليوم التالي يحمل عنوانا رئيسيا على امتداد الصفحة الأولى بالبنط العريض واللون الأحمر يتألف من كلمة واحدة هي: إيلات!

ولقد أشرف أمين هويدي في الفترة ذاتها على حرب الاستنزاف التي شنتها القوات المصرية على القوات الإسرائيلية في سيناء.

بعد وفاة جمال عبد الناصر وما طرأ من تغيير على الوضع السياسي. تعرض أمين هويدي إلى الاعتقال وبقي في الإقامة الجبرية مدة (٥) سنوات. لكنه ما بدل تبديلا من مواقفه الوطنية والقومية.

(*) العرب اليوم- عمان- الأربعاء ٢٠٠٩/١١/١٨ ص٢٠.

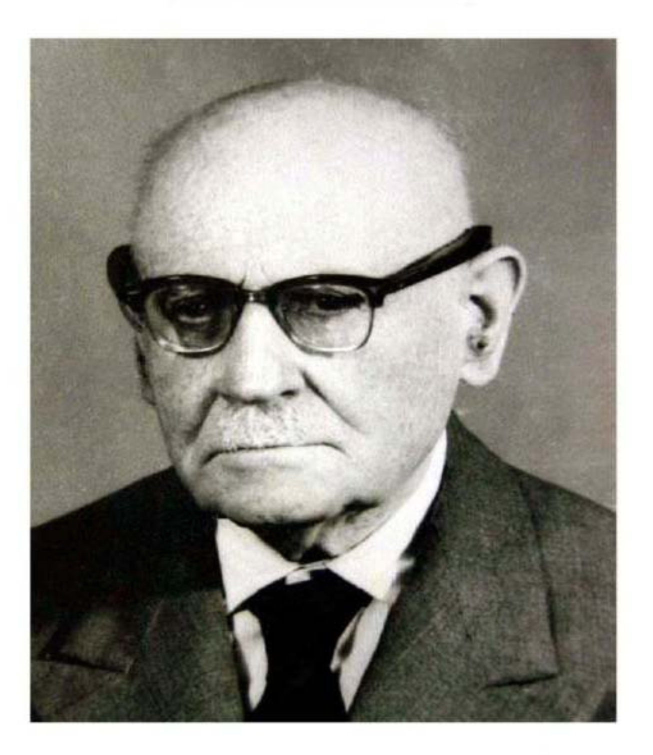
انصرف أمين هويدي بعد أن نال حريته إلى البحث والكتابة والتأليف، ونشر مقالاته في جريدة الأهرام، والأهرام الأسبوعي وجريدتي الحياة والأهالي. وأنجز (٢٥) كتابا باللغتين العربية والإنجليزية، من أهمها وأبرزها: الفرص الضائعة – زلزال عاصفة الصحراء وتوابعه – أضواء على أسباب نكسة ٦٧ وحرب الاستنزاف – البيروسترويكا وحرب الخليج الأولى.

حدثني مؤخرا في عمان الصديق المشترك الأستاذ هاني الهندي. قال: عندما استعد أمين هويدي للالتحاق بإخوانه في حركة الضباط الأحرار والخروج إلى مصير مجهول عشية ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢. نادى زوجته وأعطاها (٥) جنيهات قائلا: أنها كل ما أملك من متاع الدنيا، إذا لم أرجع توكلي على اللـه واطلبي العون من الأقرباء والأصدقاء.

بقي أمين هويدي حتى النهاية على إيمانه الراسخ بالعروبة ومستقبلها الأفضل مهما امتد الطريق وطال الزمن. كان وفيا لجمال عبد الناصر والمبادئ التي التزم بها ودعا إليها حتى اللحظة الأخيرة من حياته.

من الواضح أن أعمال ومواقف أمين هويدي لا يمكن أن تدخل في مواصفات وخصائص سيرة إنسان عادي ومثقف تقليدي. لكنها تدخل بالتأكيد في مواصفات وخصائص سيرة بطل قومي ومفكر إستراتيجي.

كان أمين هويدي محاربا قديما، والمحاربون القدماء لا يموتون ولا يتحولون إلى العدم. لكنهم يتوارون عن الأنظار ويتحولون إلى رموز وأساطير ويلتحقون بأندادهم وأقرانهم في مجمع الأبطال ومحفل الخالدين الذين ترفرف أرواحهم على الجماهير والأجيال حتى النصر النهائي الأكيد في زمان غير محدد وغير معلوم.



العلامة (أبو خلدون) ساطع الحصري - الرائد التربوي العربي والمهندس التاريخي للفكر القومي والوحدوي - (١٨٨٠ -١٩٦٩)- توفي في بغداد وكان مثواه الأخير في مقبرة جامع الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان في الأعظمية

- ٢٣ -

ساطع الحصري المهندس التاريخي للفكر القومي(□)

رجل في أمة، وأمة في رجل، ذلكم هو العلامة أبو خلدون ساطع الحصري، عالم جليل، ومفكر جريء متميز فذ، وقومي شهم همام غيور أصلب من الفولاذ، ومثقف موسوعي من الطراز المتألق من المبدعين الذين عرفناه في تراثنا الثقافي في كبار الخالدين من أمثال الجاحظ والتوحيدي. تلك هي سيرة وشخصية الحصري في جملة قصيرة وعبارة وجيزة.

صنف فريد ونوع نادر من الرجال، نذر نفسه وكرس عمره وجهده للقضية القومية والوحدة العربية، لا تباين ولا تناقض ولا اختلاف بين حياته وفلسفته، كانت حياته هي فلسفته، وكانت فسفته هي حياته. وكان تجسيدا حيا للمعادلة الشخصية التي تربط القول بالفعل. وتقرن الفكر بالعمل. كما رأيناها في عمالقة الفكر اليوناني قبل سقراط من أمثال بارمينادس وهيراقليطس.

وعيت على نفسي وعالمي في صباي المبكر فوجدت مودة حميمة وصداقة وطيدة وعلاقة شخصية دافئة وقديمة تربط والدي طالب مشتاق بساطع الحصري.

وعرفت فيما بعد أن الحصري والسيدة عقيلته كانا قد خطبا أمي لأبي

(□) العرب اليوم- عمان- الأربعاء ٢٠٠٩/١٢/٠٩ ص٢٠.

سنة ١٩٢٨ ونشأت في كنف أب رباني منذ صغري على محبة الحصري واحترام فكره وعندما وصلت إلى المرحلة النهائية من الدراسة الثانوية كنت أحفظ عن ظهر قلب كتاب الحصري المعنون (آراء وأحاديث في الوطنية والقومية) كما يحفظ المتذوق العليم قصيدة جميلة من الشعر. وعندما كنت طالبا في الجامعة الأمريكية في بيروت في أوائل خمسينيات القرن الماضي. كان أبي يصطاف مع العائلة في لبنان. وكان يأخذني معه عندما يزور الحصري في مصيفه ببرمانا، فأجلس صامتا أصغي إليهما يتبادلان الآراء والأحاديث والذكريات.

وعندما عاد الحصري إلى بغداد في ستينيات القرن الماضي، كنت قد أنهيت دراستي في جامعة أكسفورد وأصبحت أستاذا في كلية الآداب بجامعة بغداد. وكان يسكن في بيت ابنته السيدة سلوى وزوجها الصديق نزار جعفر العسكري، وكنت أزوره من حين إلى آخر مستصحبا المقالات التي كنت أنشرها في جريدة (اليقظة) البغدادية المسائية في سلسلتين إحداهما بعنوان (الغد لنا) والأخرى بعنوان (الليبرالية مقبرة العقول) وكان صاحبها ورئيس تحريرها سلمان الصفواني يشجعني على الكتابة. وكان منظرا غريبا أن ترى مفكرا مرموقا طاعنا في السن يكلف نفسه أن يناقش بحرص واهتمام أستاذا شابا في المقالات التي كتبها هذا الأخير.

وطوال ما يزيد عن الخمسين عاما كتبت ونشرت أبحاثا عديدة في مناسبات مختلفة تتناول جوانب معينة من فكره، وأنوي إن شاء الله أن أنشرها في كتاب بعنوان (أبو خلدون ساطع الحصري: عصره وفكره ودوره).

وحسنا فعل مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت عندما أعاد نشر المجموعة الكاملة من أعماله المطبوعة. وأتاحها مشكورا على أوسع نطاق للباحثين والمثقفين والناطقين بالضاد ومن أهمها وأبرزها: آراء وأحاديث في الوطنية والقومية - العروبة بين دعاتها ومعارضيها- الإقليمية جذورها وبذورها - يوم ميسلون - مذكراتي في العراق- دراسات عن مقدمة ابن خلدون - دفاع عن العروبة - العروبة أولا- وسواها كثير.

احتل العلامة أبو خلدون ساطع الحصري عن جدارة واستحقاق، وحده وبمفرده، مرحلة كاملة من تطور الفكر القومي في المشرق العربي تشمل الفترة من ١٩٢٠ - ١٩٤١ قبل ظهور حزب البعث، وقبل مجيء جمال عبد الناصر وكان محطة أساسية وعلامة دالة ونقلة نوعية في ذلك التطور.

كان الحصري كما سيكون دائما وأبدا وبامتياز الأب الروحي والثقافي للفكر القومي والأمل الوحدوي والتيار العروبي.

وسيبقى الحصري طودا شامخا يصد ويرد عن الأمة العربية سهام الجهلة والأميين المتخلفين في الداخل، وسهام الحاقدين والموتورين والطامعين في الخارج.

وإذا رأيت نورا يشع في أرجاء الأفق البعيد فاعلم أنه الحصري قد تحول إلى شعلة مضيئة تقود الأجيال والجماهير إلى غد مشرق ومستقبل أفضل وفجر جديد.



الفنان المبدع عزيز علي - مونولوجست عراقي - (١٩١٠ - ١٩٩٥).

-٢٤-

الفنان عزيز علي حبيب العراقيين ونصير المظلومين(*)

عزيز علي لحظة متألقة وظاهرة لامعة وتجربة فنية جديدة وأصيلة ومبدعة في التاريخ العراقي الحديث. عرفته الأجيال العراقية القديمة التي عاصرته فأحبته واحترمته. وجهلته الأجيال العراقية والعربية الجديدة فجحدته وظلمته.

كان عزيز علي فنانا عبقريا شعبيا ملتزما وبغداديا أصيلا، كما كان وطنيا عراقيا وقوميا عربيا تقدميا في وقت واحد وعلى حد سواء.

أسس مدرسة الموسيقى في بغداد سنة ١٩٦٨، وأدخل فن المنولوج إلى الحياة العراقية، وأرساه على قواعد محكمة ومحترمة ورصينة امتازت بأسلوبها الانتقادي التهكمي الساخر وطابعها السياسي والاجتماعي والتحريضي.

ومارس هذا الفن من دار الإذاعة العراقية منذ تأسيسها سنة ١٩٣٦ وعلى امتداد عقود كاملة من الزمن. وكان يعكس في منولوجاته أحلام جيله وهموم وتطلعات أوسع جماهير شعبه.

كان العراقيون ينتظرون قدوم يوم الأربعاء من كل أسبوع للاستماع إلى منولوجه الجديد بفارغ الصبر وعلى أحر من الجمر، تماما كما كانت

(*) العرب اليوم- عمان- الأربعاء ٢٠٠٩/١٢/١٦ ص٢٠.

الجماهير العربية من طنجة إلى عدن تنتظر أم كلثوم في وصلتها الغنائية يوم أول خميس من الشهر أو تنتظر مقال محمد حسنين هيكل الأسبوعي (بصراحة) يوم الجمعة من كل أسبوع في جريدة (الأهرام).

كان عزيز علي يخبر زوجته أنه سيلقي منولوجا جديدا في اليوم التالي، فتستعد هذه للحدث القادم بتوضيب شنطة صغيرة تحتوي على بعض حاجياته الشخصية اليومية الضرورية. لأن العادة كانت جارية إن يساق إلى السجن إذا كان منولوجه سياسيا حساسا يمس الخطوط الحمراء، فيمكث فيه ضيفا على الحكومة بضعة أيام، ثم يطلق سراحه.

اسمه الكامل عزيز بن علي بن عبد العزيز علي بن حاتم بن هاني اشتهر بغناء المنولوج، ولم يكن هذا اللون معروفا أو مألوفا في العراق قبل عزيز علي، ومن أبرز خصائص عبقريته ما ظهر في حقيقتين:

- الأولى: أنه كان ينظم القصيدة شعرا ويلحنها ويغنيها بنفسه.
- والثانية: أنه كان يرفض أن يرتزق بفنه، ويأبى أن يقبض أجرا على عمله، ويعيش قانعا بالراتب الذي يتقاضاه عن وظيفته الحكومية في دائرة الكمارك.

كان عزيز علي إنسانا مثقفا ورجلا عصاميا ولد سنة ١٩٠٨ وفي رواية أخرى سنة ١٩١١ في جانب الكرخ من بغداد، وانحدر من عائلة متواضعة تنتمي إلى طبقة اجتماعية مسحوقة. ولكنه أكمل دراسته العالية بجهده الدائب. وما أن بلغ مبلغ الرجال حتى كان يتكلم (٥) لغات. وتوفي في بغداد سنة ١٩٩٥، بعد رحلة فنية طويلة وحياة حافلة بالإبداع والعطاء.

من المواقف المشهودة في سيرة عزيز علي أنه شارك في المظاهرات العارمة التي بدأها طلاب الثانوية المركزية سنة ١٩٢٧ ضد زيارة الشخصية الصهيونية البريطانية السير الفرد ليموند إلى بغداد وأرفدتها الجماهير البغدادية بزخمها المتعاظم. ولعلها كانت أول مظاهرة ضد الصهيونية في الوطن العربي خارج فلسطين في التاريخ الحديث. وكان طالب مشتاق مدير الثانوية المركزية في تلك الفترة. وخرج في المظاهرة مع طلابه. وتحدث عن هذه المظاهرة بالتفصيل في مذكراته (أوراق أيامي- بغداد- سنة ١٩٨٩- الصفحات ١٨٨-١٩٤).

ومن الطلاب زملاء عزيز علي الذين اشتركوا في المظاهرة: حسين جميل عديل الخال ناظم حميد، الذي أصبح من القادة المؤسسين للحزب الوطني الديمقراطي، وفائق السامرائي، الذي أصبح أحد أبرز قادة حزب الاستقلال المعروف باتجاهه القومي، وعبد القادر إسماعيل البستاني الذي أصبح أحد أبرز الشخصيات القيادية في الحزب الشيوعي العراقي، والعم أدهم مشتاق الذي تسلم عددا من أرفع المناصب في وزارة العدل، والخال ناظم حميد الذي أصبح من أبرز شخصيات الحزب الوطني الديمقراطي، ويونس السبعاوي الذي أصبح من أبرز الناشطين القوميين وأصبح وزير الاقتصاد وقائد كتائب الشباب في حكومة الدفاع الوطني سنة ١٩٤١.

اتهم عزيز علي في سنة ١٩٤١ بأنه نازي لأنه قاوم العدوان العسكري الذي شنته بريطانيا على العراق وأيد حكومة الدفاع الوطني التي كان يرأسها رشيد عالي الكيلاني.

وعندما دخل الإنكليز إلى بغداد في سنة ١٩٤١ (الذي وصفه

المؤرخون بأنه الاحتلال الثاني قياسا على الاحتلال الأول سنة ١٩١٧ والاحتلال الثالث سنة ٢٠٠٣) تعرض عزيز علي إلى الاعتقال مع سواه من الوطنيين وقد شاهدته شخصيا سنة ١٩٤٣ في معتقل العمارة عندما كنت أزور الوالد طالب مشتاق زميله في المعتقل. وكان شقيقي الأصغر باسم يبيت لدى والدي أحيانا في المعتقل. وتصادف أن أحد هذه الأيام كان عيد ميلاده. فأقام والدي حفلة صغيرة بهذه المناسبة. وأحياها عزيز علي. هكذا كانت المعتقلات في تلك الأيام.

واتهم عزيز علي في سنة ١٩٥٦ بأنه شيوعي لأنه شارك في المظاهرات العراقية العارمة ضد العدوان الثلاثي على مصر بعد تأميم قناة السويس.

ويعلم الله أن عزيز علي لم يكن نازيا ولا شيوعيا بل كان وطنيا عراقيا غيورا وإنسانا عربيا قوميا تقدميا متحررا واسع الأفق بعيد الهمم. ولم ينتسب في حياته إلى أي حزب سوى حزب واحد اسمه الشعب العراقي.

وستمر السنون وتتعاقب الأجيال، ويبقى عزيز علي اسما متألقا وفنا خالدا ونجما لامعا في الذاكرة الوطنية العراقية. وستبقى منولوجاته محتفظة برونقها وبريقها وعنفوانها وراهنيتها وحضورها الفاعل. فما أن يسمعها المرء الآن حتى يتصور أن عزيز علي ما يزال حيا يرزق، وأن منولوجاته تنتقد وتدين المظالم والمفاسد التي يعانيها وطنه في هذه الأيام.

رحم الله عزيز علي الفنان والإنسان والمواطن، حبيب جميع العراقيين على اختلاف وتعدد مشاربهم ومذاهبهم ونصير المظلومين في كل زمان ومكان.



الفنان الخالد ناظم الغزالي - مطرب عراقي مبدع -

(١٩٢٢ - ١٩٦٣)

-٢٥-

ناظم الغزالي.... لحن عراقي أصيل خالد (*)

الفنان الموهوب ناظم الغزالي أعاد الأغنية العراقية إلى سيرتها الأولى التي ارتبطت بإسحق الموصلي أشهر مطرب في العصر العباسي. فكان أشهر مطرب في العراق الحديث بامتياز. وكانت أغانيه تتدفق بتلك النكهة العراقية المحببة المتفردة والرومانسية العفوية الرقيقة العذبة، وذلك الحزن السومري العميق القديم الذي سرعان ما ينقلب في لحظة واحدة إلى فرح غامر وشوق عظيم، تعبيرا عن انتصار الأمل على القنوط، والنور على الظلام، والحياة على الموت، والخلاص على الإحباط.

ومن أعذب أغانيه وأرقها: طالعة من بيت أبوها رايحة لبيت الجيران - ما أريده الغلوبي - يم العيون السود- يم العباية - كولي يا حلو- خايف عليها ولهان بيها- فوق النخل فوق- وسواها كثير.

وكان يجيد غناء المواويل والمقامات العراقية الأصيلة. وشملت أغانيه بعض قصائد أشهر الشعراء العرب القدماء والمحدثين: ومنها قصيدة (أي شيء في العيد أهدي إليك يا ملاكي) من نظم إيليا أبو ماضي، وقصيدة (شيعت أحلامي بقلب باك) من نظم أحمد شوقي، وللبهاء زهير (يا من لعبت به شمول) وللمتنبي (يا أعدل الناس). وللعباس بن الأحنف (يا أيها الرجل المعذب نفسه) فأخرج هذه القصائد من دواوينها وجعلها تجري على

(*) العرب اليوم- عمان- الأربعاء ٢٠٠٩/١٢/٢٣ ص٢٠.

ألسنة أبسط الناس الذين أحبوا كلماتها وأحبوا أكثر الصوت الذي نقلها إلى أذانهم بتلك المسحة من الحزن الشائعة تقليديا في الغناء العراقي.

قلب الغزالي غالبية مقاييس الغناء العراقي، وخرج على الشكل التقليدي في الأداء الغنائي فانتشرت أغانيه في جميع أرجاء الوطن العربي رغم مجيئها من بيئة ذات طبيعة شديدة الخصوصية.

ومنذ بداية خمسينيات القرن الماضي بدأت أغنيات الغزالي تعبر الحدود العراقية فسافر إلى العديد من الدول العربية التي شهدت الكثير من حفلاته الغنائية، وأصبح سفيرا للأغنية العراقية إلى الأمة العربية . بل أنها اكتسبت شعبية واسعة في بلدان المغرب العربي حتى أن بعض الأخوة المغاربة كانوا يعرفون العراق بأنه بلد ناظم الغزالي.

امتاز ناظم الغزالي عن أقرانه ليس فقط بصوته الشجي بل أيضا بثقافته الواسعة وعقليته المتنورة. ظهرت تلك الثقافة في عام ١٩٥٢ عندما بدأ بنشر سلسلة من المقالات في مجلة (النديم) بعنوان (أشهر المغنين العرب) وظهرت أيضا في كتابه المعنون (طبقات العازفين والموسيقيين في الفترة (١٩٠٠-١٩٦٢).

ويعود الفضل في حفظ أغاني ناظم الغزالي إلى الآن إلى شركة (جقماقجي) البغدادية التي بدأت منذ منتصف خمسينيات القرن الماضي في تسجيل أغاني كبار المطربين والمطربات في العراق على اسطوانات حجرية. وهي اليوم متوفرة في أقراص مدمجة، وكان في طليعتهم ناظم الغزالي الذي كان وقتها المطرب الأكثر شهرة في سماء العراق وكان بريق نجمه يمتد إلى جميع أرجاء الوطن العربي.

ولد ناظم الغزالي عام ١٩٢١ يتيما في أسرة فقيرة بحي الحيدرخانة من الأحياء القديمة في بغداد، وكان أبوه رجلا ((كادحا)) وأمه كفيفة البصر، وكفله عمه في صغره ولكن الغزالي كان فنانا أصيلا عصاميا شق طريقه في الحياة. وصعد إلى قمة المجد وذاع صيته في الآفاق بجهده الدائب وإصراره العنيد، حتى استطاع في النهاية أن يكتسب حب العراقيين وإعجابهم وأن يأسر آذان وقلوب الجماهير العربية. توفي الغزالي بالسكتة القلبية في سنة ١٩٦٣ ولم يكن قد تجاوز الثانية والأربعين من عمره، وكان في عز نجاحه وكامل نشاطه.

سيبقى ناظم الغزالي اسما لامعا وفنانا موهوبا ولحنا خالدا في الذاكرة الوطنية العراقية. وسيبقى من أعظم واعز وأغلى وأثمن وأجمل الهدايا التي وهبها الشعب العراقي إلى أمته العربية.

-26-

كتاب في كلمة: التاريخ فكرا إستراتيجيا وأدبا قصصيا(*)

(دار دجلة للنشر والتوزيع ــ عمان / بغداد ــ سنة ٢٠١٠ ــ في ثلاثة أجزاء ــ ٢٩٩ صفحة)

الانتصارات لا تحتاج إلى المدائح والمباخر، لأنها حقائق واقعة وحيثيات واضحة لكنها ربما تحتاج أحيانا إلى جرعات من الاعتدال للتخفيف من الغلو، ومن المهم أن تدرس الأجيال الجديدة القادمة من المفكرين والإستراتيجيين والعسكريين من أبناء العراق والأمة العربية ما خاضته الأجيال القديمة السابقة من تجارب وما تعلمته من دروس.

لكن الأهم أيضا أن تدرس الأجيال الجديدة القادمة ما ارتكبته الأجيال القادمة السابقة من أخطاء وهفوات دراسة واعية قاسية. لأن الأمم لا تتعلم الدروس ولا تستخلص العبر من الانتصارات، بل تتعلمها وتستخلصها من الهزائم والأخطاء والهفوات.

قد تختلف الآراء وتتباين المواقف، لكن التاريخ لا يرحم ولا يعذر، وتبقى الحقيقة في جميع الظروف والأحوال أنفع وألزم للأجيال الجديدة القادمة من الراحة والمجاملة.

ليس من حق أحد كائنا من كان في الوطن والعالم، أن يحرم الأجيال الجديدة القادمة من فرصها وحقوقها في استخلاص الحقائق واستنباط

(*) العرب اليوم- عمان- الثلاثاء ٢٠١٠/٠١/١٩ ص٢٣.

الدروس واستقراء الوقائع ومواجهة الهزائم والأخطاء والهفوات بحرية وعقلانية وشجاعة فلا ترتكبها مجددا ولا تكررها مرة بعد أخرى، والملاحظات التي قدمتها إلى القراء الأعزاء الكرام بتواضع وإخلاص تدخل في صلب وصميم فلسفة التاريخ ولا تتطفل على رسالة المؤرخ. وتسلط المزيد من الأضواء الكاشفة على العروة الوثقى والعلامة الفارقة بين التاريخ وفلسفة التاريخ في وقت واحد على حد سواء

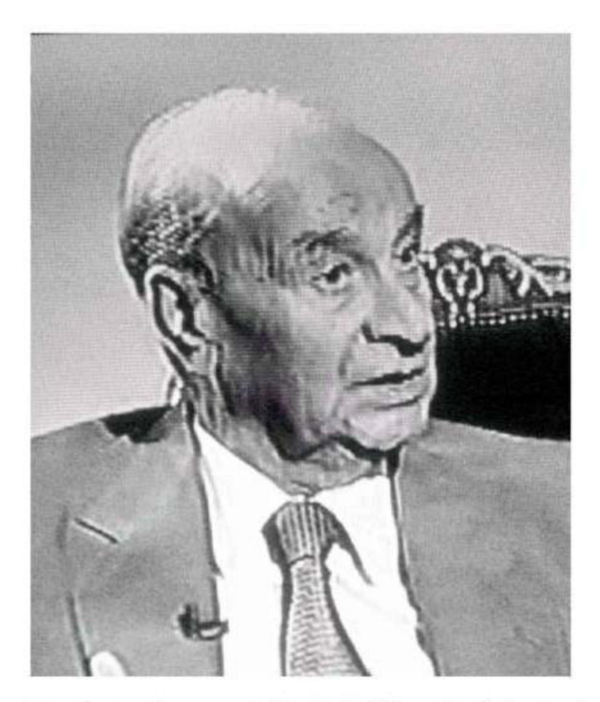
لكنها تثبت بما لا يدع مجالا للشك أن فلسفة التاريخ تختلف اختلافا جذريا وأساسيا عن التاريخ التقليدي، وتعود حصرا وتحديدا واقتصارا إلى اختصاص الفلسفة. ولا تدخل على الإطلاق في الاختصاص الدقيق للتاريخ، وتوضح بما لا يدع مجالا للغموض أن تشابه العناوين وتطابق الألفاظ واشتراك الأسماء لا يمكن أن توهم أو تخدع الأذكياء والعقلاء والعلماء.

سوف أكون مسرورا سعيدا راضيا قانعا بالجهد الذي بذلت، والوقت الذي صرفت، والعناء الذي تجشمت، إذا ساعدت أمثال هذه الأعمال على تحريك المياه الراكدة وتأجيج النيران الخامدة وتبديد الأوهام السائدة وتفنيد الأخطاء الحاشدة، ولو في عقل واحد من العقول الواعدة.

كان شغلي الشاغل تحرير العقل العربي من ذلك الإثم التبريري الذي يحوله إلى عقل مقعد كسيح عاجز عن وضع النقاط على الحروف ولا يطلق على الوقائع والأشياء أسماءها الحقيقية الصحيحة. يرتد عن مواجهة واقعه ونفسه وعالمه وعصره. وينسب الهزائم إلى لأسباب خارجية ويرتعب من

تحليل جذورها الذاتية والداخلية ويسميها بأسماء ملطفة مخففة من أمثال نكبة ١٩٤٨ ونكسة ١٩٦٧ وما شابهها من أسماء وأوصاف في أمثلة لا تعد ولا تحصى.

تلك هي الخلفية التي اعتمدتها والغاية التي توخيتها في تأليف هذا الكتاب.



العسكري العراقي المتميز والقائد السياسي البارز صبحي عبد الحميد – رئيس التيار القومي العربي في العراق - وزير الخارجية في مطلع فترة حكم القوميين (١٩٦٣) ثم وزير الداخلية (١٩٦٤) – (١٩٢٤-٢٠٠٩)

-27-

صبحي عبد الحميد ذكريات ومواقف(*)

فارس مغوار آخر من فرسان العروبة في العراق ترجل عن صهوة جواده، وبطل صنديد آخر من أبطال الأمة العربية اختطفته يد المنون. بالأمس القريب كتبت عن الصديق العزيز أمين هويدي الذي توفي مؤخرا في القاهرة. واليوم أكتب عن الصديق العزيز صبحي عبد الحميد الأمين العام للتيار القومي العربي في العراق الذي توفي في بغداد يوم الأحد الموافق ٢٠١٠/٠١/٢٤.

كان صبحي عبد الحميد عسكريا عراقيا متمرسا مثقفا متميزا، وقياديا قوميا لامعا صادقا، وعروبيا شهما هماما مقداما، لا يفوق إيمانه بالعروبة إلا إيمانه بالله.

وكان رجلا مهيب الطلعة، قوي الشخصية، طويل القامة، عريض المنكبين، واسع الأفق، بعيد النظر، محبوبا محترما، مهابا لدى جميع الأوساط العراقية وأطيافها السياسية وأحزابها الوطنية على اختلافها وتعددها.

وعندما أصبح وزيرا للخارجية في بداية فترة حكم القوميين سنة ١٩٦٣ كان أول عمل تولاه إلغاء أحكام الفصل التي كانت قد صدرت بحق دبلوماسيين عراقيين لأسباب سياسية، وأعاد إلى الخدمة المفصولين الذين

(*) العرب اليوم- عمان- الأربعاء ٢٠١٠/٠٢/٠٣ ص٢٠.

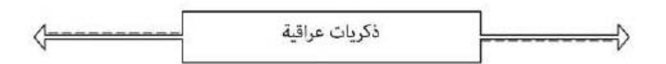
كانوا قد أبعدوا عن وظائفهم بمعاذير ومبررات لا تتعلق بالكفاءة والمقدرة والصلاحية المهنية.

وعندما أصبح وزيرا للداخلية سنة ١٩٦٤ من فترة حكم القوميين كان أول عمل أنجزه إغلاق السجون والمعتقلات السياسية فأطلق سراح جميع السجناء والمعتقلين السياسيين على اختلاف وتعدد مواقفهم الأيديولوجية وأحزابهم السياسية دون تمييز ولا استثناء. ومنع تقديم شهادات ((البراءة)) التي كان يعتبرها إهانة صارخة للإنسان وكرامته وإنسانيته وتجاوزا مرفوضا على حقوق المواطنة، أصدر الفقيد مذكراته في مطلع هذه السنة بعنوان ((مذكرات صبحي عبد الحميد: العراق في سنوات الستينيات)).

مجلس العزاء الحاشد الذي أقامه أصدقاء الفقيد وإخوانه وعارفو فضله في جامع الصالحين بحي الرابية في عمان مساء الخميس الموافق ٢٠١٠/١/٢٨ كان تعبيرا أمينا دقيقا صادقا عن مكانته وسيرته وشخصيته. واستفتاء شعبيا حقيقيا حرا عفويا على خصاله وأعماله وأفضاله التي تليق أن تكون عن جدارة واستحقاق نموذجا قياسيا ومثلا أعلى للحاكم الصالح والقيادي الرشيد والسياسي الحكيم.

كان صبحي عبد الحميد من ألمع وأبرز الناشطين القوميين والمناضلين العروبيين في زمانه، كان محاربا قديما بامتياز.

والمحاربون القدماء من أمثاله لا يغيبون عن الوجود ولا ينتقلون إلى العدم، ولكنهم يتحولون إلى رموز وأساطير تشد العزائم وتستنهض الهمم، ويتوارون عن الأنظار، ويلتحقون بأندادهم وأقرانهم في مجمع الأبطال



ومحفل الخالدين، ويرافقون بأرواحهم إخوانهم المناضلين الذين اقتدوا بهم وتعلموا منهم أن هناك ما هو أسوأ وأبشع من الموت. وأن هناك ما هو أعز وأغلى وأجمل وأثمن من الحياة.

-28-

معركة التعريب في تونس السبعينيات(*)

مضت على هذه الواقعة ٣٤ عاما، ولكن تفاصيلها الأساسية ومعالمها البارزة بقيت محفورة في ذهني، ماثلة في خاطري، وكأنها لم تحدث إلا بالأمس القريب. وكانت طوال هذه المدة صفحة مطوية وحقيقة مجهولة لدى السواد الأعظم من الناطقين بالضاد. ورأيت الآن أن أعرضها على الأنظار والعقول بدوافع الوفاء القومي ودواعي التوثيق التاريخي في وقت واحد على حد سواء.

كان الصيف العراقي في بدايته، وكانت بغداد مدينة جميلة سعيدة في ذلك الزمان، ترفل في حلة قشيبة من الأناقة والنظافة والبهجة، وهي في عز تألقها وأوج عنفوانها، شوارعها العريضة، وساحاتها الواسعة، وأنصابها التذكارية ومعالمها التاريخية وحدائقها العامة المبثوثة في كل مكان والمزدانة بالنافورات والبحيرات الاصطناعية.

استدعاني إلى مكتبه صديق عزيز كان يشغل موقعا ثقافيا رفيعا، ذات يوم من شهر نيسان سنة ١٩٧٦، وكنت رئيس قسم الفلسفة في كلية الآداب بجامعة بغداد في ذلك الحين، وأخبرني أن العراق قد تلقى دعوة أخوية كريمة

(*) العرب اليوم- عمان- الأربعاء ٢٠١٠/٠٢/١٠ ص٢٠.

من مركز الدراسات والأبحاث الفلسفية والاجتماعية والاقتصادية بكلية الآداب في الجامعة التونسية للمشاركة في ملتقى تعريب مصطلحات الفلسفة وعلم الاجتماع الذي سيعقده المركز في موعد قريب.

وأطلعني أن العراق قد قرر أن يشترك في الملتقى بوفد ثقافي وأكاديمي رفيع المستوى يضم الأساتذة الدكاترة: جاسم محمد الخلف ويوسف عز الدين وعلي الوردي، إضافة إلى كاتب هذه السطور.

وأردف مستطردا أن العراق قد قرر أيضا أن يقدم دعما مطلقا غير محدود إلى عملية التعريب في تونس ماديا ومعنويا، وخولني رسميا بنقل هذا الموقف إلى الملتقى وإعلانه على المشاركين.

كانت المعركة محتدمة حامية الوطيس بين الداعين إلى التعريب والمنادين بالفرانكوفونية، وكانت الحجة الأساسية التي لجأ إليها وتذرع بها الفرانكوفونيون هي الكلفة المالية العالية للتعريب التي ستكون عبئا ثقيلا على ميزانية الدولة.

عقدت محادثات رسمية مع وزير خارجية تونس في تلك الأيام الحبيب الشطي الذي كان صديقا للوالد المرحوم طالب مشتاق منذ أن كانا سفيرين لبلديهما في أنقرة في الستينيات والذي وضع بتصرفي سيارة مع سائقها طوال إقامتي في تلك البلد الشقيق، وأوضحت الموقف العراقي من التعريب التونسي، فقوبل هذا الموقف بالود والامتنان.

أعلنت الموقف العراقي الحاسم في الملتقى وعرضته على المشاركين وأردفت أن العراق يبدي استعداده الكامل والتزامه التام بدعم التعريب دعما مطلقا مهما كانت الكمية المطلوبة من الكتب الدراسية والمنهجية ومهما كانت كلفتها المالية، ويتكفل أيضا بنقلها جوا إلى تونس.

استقبل الحاضرون هذا الإعلان بعاصفة مدوية من التصفيق، وانتفت حجة الفرانكوفونيون، وأسقط في يدهم، وباءت جهودهم بالخيبة والخسران.

أحدث ذلك أصداء واسعة من التجاوب والاستحسان ظهرت واضحة في الصحافة التونسية من خلال التصريحات التي نقلتها والتعليقات التي نشرتها.

ألقيت محاضرتين عامتين في سياق زيارتي إلى تونس، إحداهما كانت بعنوان ((فلسفة الاستقلال الثقافي ومعركة التعريب في تونس الخضراء)) والأخرى كانت بعنوان ((تجربة التعريب في العراق العباسي الوسيط)) ونشرتا معا في ملحق جريدة الجمهورية البغدادية ((العدد ٢٦٦٩- يوم السبت في ١٩٧٦/٠٦/١٢- ص ٧)).

مضت على هذه الواقعة ٣٤ عاما، ولكن النتائج الإيجابية التي تمخضت عنها وترتبت عليها ما تزال تؤتي ثمارها وتشع أنوارها إلى يومنا هذا.

وما تزال ذكريات تلك الأيام المجيدة تبعث في نفسي شعورا عارما دافئا من الفخر والاعتزاز بالدور القومي المشرف الحاسم الذي لعبته بلادي في تلك المعركة، والدور الشخصي المباشر الذي أكرمتني بلادي أن ألعبه في أوارها.

- ٢٩ -

تقديم المنهج التاريخي من المفهوم الأيديولوجي إلى المفهوم الاستراتيجي (*)

(دار دجلة للنشر والتوزيع ــ عمان/ بغداد ــ سنة ٢٠١٠ ــ في خمسة فصول ــ ١٢٣ صفحة)

هذا الكتاب للكل وليس لأحد. كتاب يهم المتخصصين بالتاريخ، كما يهم المتخصصين بالفلسفة، في وقت واحد، وعلى حد سواء. لكنه يهم أيضا المثقفين أجمعين بوجه عام، لأنه كتاب يبحث في لحظات حاسمة ومشكلات أساسية تخص الإنسان في معناه الصحيح ومصيره الحقيقي، من حيث هو إنسان، طالما أقلقته وأسهدته وطاردته صباح مساء وليل نهار فكرا وعلما وفنا وأدبا وتاريخا.

ويقضي التقليد المتبع في تأليف الكتب أن يبدأ الكتاب بمقدمة تتصدره وتشمل عرضا وجيزا وتلخيصا وافيا للمضمون في أبوابه المختلفة وجوانبه المتعددة وفصوله المتعاقبة، وقد تمردت على هذا التقليد الرتيب واردت عن

(*) العرب اليوم- عمان- الثلاثاء ٢٠١٠/٧/٦ ص٣١.

عمد وقصد أن أترك القارئ حرا طليقا في استخراجه للحقائق واستخلاصه للنتائج من مطالعته للكتاب، احتراما للعقل وإخلاصا للفكر وحرصا على حرمة العلم وكرامة الإنسان.

من هنا، أشارت هذه المقدمة إلى ما لا يقصده الباحث، وما لا يعنيه البحث، وما لا يطرقه الموضوع، وما لا يتناوله الكتاب، حصرا وتحديدا واقتصارا دفعا للخلط، واستبعادا للالتباس، وتجنبا للتداخل والغموض.

ليس هذا الكتاب كتاب عن الأيديولوجيا النظرية والمصلحة السياسية والحكمة المموهة، لكنه كتاب للمعرفة العلمية والفلسفة الموضوعية والحكمة الحقيقية.

ليس هذا الكتاب كتابا عن الأجوبة النهائية والحلول الجاهزة والوصفات الكاملة، لأنه ليس إلا خطوة صغيرة ومساهمة بسيطة ومحاولة متواضعة، ترمي إل تشخيص المشكلات تشخيصا واضحا، وتهدف إلى تحديد الأسئلة تحديدا دقيقا ولا تطمح أو تتطلع إلى أبعد أو أكثر من تقديم عدد قليل من المعالم الأساسية والملامح البارزة والاقتراحات المرنة المفتوحة، انطلاقا من بديهية معروفة وحقيقة ثابتة هي أن الفكر الإنساني قد بدا وتطور وتقدم وارتقى ليس بالأجوبة الصحيحة بل بالأسئلة الصحيحة.

وليس هذا الكتاب كتابا عن الإنسان العراقي أو غير العربي، والإنسان المسلم أو غير المسلم، لكنه كتاب عن الإنسان بالمعنى النوعي المطلق الشامل الذي يدل على الجنس البشري بأجمعه، ويخاطب الإنسان في كل مكان وزمان، دون استثناء ولا تحديد ولا تمييز.

وليس هذا الكتاب كتابا عن التاريخ الرسمي، أو التاريخ الخاص، أو التاريخ المحنط المدفون في بطون المخطوطات أو المطبوع على صفحات الكتب، والذي نسمعه أو نطالعه أحيانا في النصائح والمدائح والمواعظ لكنه كتاب عن التاريخ الحقيقي، والتاريخ الإنساني العام الذي يشمل جميع الأمم والدول والحضارات في جميع الأزمنة والعهود والعصور، والتاريخ الحي الذي يعيش مع الإنسان في فكره وسلوكه وعمله، ويرافقه في بيته وشارعه ومقهاه، ويلازمه من المهد إلى اللحد.

ويقوم مفهوم من هذا النوع للتاريخ على مفهوم معين للعقل بوصفه نسرا حرا طليقا، يحلق في الأعالي ويحط على القمم، لا يحده مكان ولا يقيده زمان، ولا يبالي بالاتفاق أو الاختلاف، ولا يتسع للعصبيات الجاهلة والأطماع المخاتلة والأحقاد القاتلة، ويأخذ بنظره موضوعية متجردة ومنهجية عملية صارمة على أسس تحليلية واستقرائية ونقدية ومقارنة ولا

يتضايق أو يتحرج من الاعتراف بالجهل أو الخطأ، من دون انحياز مسبق ولا تعصب مغلق.

وليس هذا الكتاب كتابا عن فلسفة معينة بالذات أو أخرى من فلسفات التاريخ العديدة المختلفة، بل إنه دراسة استطلاعية عن فلسفة التاريخ في حد ذاتها على الإطلاق تحاول أن تتبين أسسها وخصائصها وحدودها وأبعادها، فسلجيا ومرفجيا من الناحيتين التكوينية و الوظيفية بعيدا عن الأهواء والأغراض والعواطف والحماسيات.

ولعل العبرة العظمى أو الحكمة الكبرى التي تعلمتها من عملي العلمي الطويل الذي بدا دراسيا في سنة ١٩٤٨م بالجامعة الأمريكية في بيروت وانتهى في سنة ١٩٦٠م بجامعة أكسفورد في بريطانيا وعمري الأكاديمي الحافل الذي بدأ في سنة ١٩٦٢م بقسم الفلسفة كلية الآداب - جامعة بغداد، تدريسا وبحثا وتأليفا، وما يزال مستمرا حتى الآن - هي: أن العلامة الدالة أو الإشارة الفارقة للمفكر الحقيقي أو الفيلسوف الأصيل لا تقوم إطلاقا على مقاييس واعتبارات الموافقة أو المخالفة، حتى ولو كانت على المستويات المنطقية والعقلانية والموضوعية والعلمية.

وليس من شأن المفكر الحقيقي أو الفيلسوف الأصيل أبدأ أن يقنعك

بخطأ رأيك وصواب رأيه، أو أن يسحبك سحبا ويجرك جرا للاصطفاف في موقعه. والوقوف إلى جانبه، في الخندق الثقافي الذي اختاره والبحث المنهجي الذي استهواه، بل من شأنه أن أصلا وأساسا أن يتحدى العقل المستكين الخامل أو المتعصب الجاهل أو المغرور العاطل، فيفتح أبوابه الموصدة وشبابيكه المغلقة على مصاريعها للهواء الطلق والنور الساطع وأن يوقد وهج الشوق ونار الفضول في الذهن القانع الكسول فينقله نقلا من المياه الضحلة الراكدة و الوتائر التقليدية الرتيبة ويحمله حملا إلى القمم الشاهقة العالية والآفاق الرحبة البعيدة، وأن يستحثه ويستفزه ويدفعه دفعا حثيثا دائبا إلى المزيد من البحث والنظر والتأمل والتفكير.

تلك هي الفضيلة البارزة المثلى والخصلة الأساسية المتميزة للمفكر الحقيقي والفيلسوف الأصيل وما سواها عبث وهذر هذيان ولغو فارغ وجدل عقيم.

ومن هنا وفي ضوء ما تقدم، كان الدور الذي لعبه أو الأثر الذي تركه، الفلاسفة والمفكرون الذين رفضتهم ونبذتهم وخالفتهم وعارضتهم مبكرا، طيشا وغرورا وتهورا وعنادا وجهلا في كثير من الأحيان، أعظم وأكبر وأفعل وأجدى بكثير، في تكويني الثقافي وتطوري الفكري ونضوجي العلمي، من الفلاسفة والمفكرين الذين وافقتهم ورافقتهم وحالفتهم

واحتضنتهم. وإذا كنت قد أنقذت نفسي بعقلي وعلمي وجهدي وتحصيلي من متاهات وذنوب وأسقام "التعصب، الذي وجدته فيهم فإنهم بالمقابل قد أنقذوني من قيود وسلاسل وأغلال وأصفاد "التعصب المضاد" الذي يساويه بالنوع والزخم وأن عاكسه في الاتجاه الذي اكتشفته متأخرا في نفسي.

ورغم كل شيء، ورغم جميع السلبيات والمفاسد والشرور والمظالم والجرائم يبقى الإنسان أملا وحيدا وملاذا أخيرا للحياة الواعية ومستقبلها واستمرارها وازدهارها في هذه الأرض ويبقى العقل أملا وحيدا وملاذا أخيرا للإنسان في البقاء والبناء والارتقاء فمتى نتعلم أن ننظر إلى الحقائق والوقائع والأشياء بعيون مفتوحة وعقول واعية، فنراها كما هي في حد ذاتها وكما توجد بالفعل، وليس بنظارات ملونة وردية أو سوداء أو بيضاء فنراها كما نريدها أو نشتهيها أو نهواها أو نتصورها أو نتمناها أو نتوهمها؟؟ ومتى نتوقف عن النظر إلى أخطائنا وخطايانا بعدسات مصغرة ومبعدة والنظر إلى أخطاء وخطايا الآخرين بعدسات مكبرة ومقربة؟؟..

ومتى مخرج خروج عاقل معتبر من عصر وعالم الأيديولوجيا وندخل دخول عزيز مقتدر إلى عصر وعالم الاستراتيجيا؟؟..

وليس من الحكمة أو المصلحة أو الفائدة أو الضرورة، أن نواجه الأيديولوجية بالإستراتيجية ولا أن نواجه الإستراتيجية بالأيديولوجية.

وإذا توخينا الفوز وأردنا النجاح، وعقدنا السواعد والقلوب على الخروج من الضيق إلى الفرج، فينبغي أن نواجه الأيديولوجية بالأيديولوجية، وأن نواجه الإستراتيجية بالإستراتيجية.

لا يفل الحديد إلا الحديد، ولا خلاص ولا أمل إلا باستخدام السلاح المناسب للصراع الدائر. ونحن اليوم في مواجهة واقعية استثنائية مع إستراتيجية باغية طاغية عاتية، ولسنا في مواجهة حقيقية طبيعية مع أيديولوجية ذاوية خاوية معادية.

فهل من أحكام العقل والمنطق ومقتضيات التدبير السليم والنظر البعيد أن نلجأ إلى الأيدلوجية في وضع من هذا النوع الذي يلزمنا باللجوء إلى الإستراتيجية؟ وهل بهذه الخفة المتناهية والعربدة المتشنجة والسطحية المرتجلة التي نلاحظها ونراها ونلمسها في مواقف عدد غير قليل من أبرز وألمع وأذكى مثقفينا ومفكرينا وأساتذتنا المتخصصين، من واقعنا وعصرنا وعالمنا، نحمي بارقة الأمل وبذرة الإيمان من عوادي الدهر وغوائل الزمان، ونشق طريقنا الصعب المحفوف بالشدائد والأهوال والمخاطر إلى المستقبل الأفضل، ونبني للأجيال القادمة صرحا عزيزا شامخا، تفخر به، وتحرص عليه، وتتخذ منه زادا وعونا في الملمات والخطوب للانطلاق إلى الأمام بإرادة لا ترد ولا تقهر؟؟

ويمكننا، بل ويلزمنا، أن نخاطب شعبنا العظيم في عراقنا الصامد الصابر، وامتنا في الوطن العربي، حتى بعض الشرائح والأوساط والدوائر المعينة في الدول الأجنبية الأخرى، بلغة المبادئ والحقوق والقيم والأخلاق.

لكننا إذا استخدمنا تلك اللغة، من دون تمحيص ولا تخصيص ولا تمييز ولا استثناء، في مخاطبة الدول على اختلافها وتعددها، في هذا العالم الواسع الفسيح الذي يصغر ويتغير بسرعة فائقة ومتوالية هندسية، والذي لا يفهم أو يتقبل إلا لغة معينة من الرموز والمفاهيم والمصالح والموازين والحسابات، فإنها سوف لا تصغي ولا تسمع، وإذا أصغت وسمعت فإنها سوف لا تفهم وإذا فهمت فإنها سوف لا تتقبل، وإذا تقبلت سوف لا تعيرنا وزنا ولا اهتماما ولا اعتبارا.

وإذا ازددنا إمعانا في هذه المحاولة فإننا سوف نتهدد بعزلة واسعة وقطيعة طويلة ومحنة قاسية. وفي مواجهة واقعنا ليس لنا إلا أنفسنا وسواعدنا، وعقولنا وجهودنا.

وفي مواجهة عالمنا، ليس لنا إلا الصبر الجميل والنفس الطويل و التعامل الواقعي الذكي المرن المحسوب ولا تنال نفس إلا ما كسبت. وليس للإنسان إلا ما سعى.

تلك هي الصورة الحية كما أراها، و الحقيقة الموضوعية كما أفهمها، في اعتقادي المفتوح واجتهادي المتواضع.

وبعد، فإن القارئ قد أصبح الآن على بينة واضحة وبصيرة واعية بهذا الكتاب فإذا شاء أن يطالعه، فذنبه على جنبه، وإثمه على نفسه، وعقابه من جنس عمله. وإن لم يشأ، فلا لوم عليهم ولا هم يحزنون.

وفي جميع الظروف والأحوال، وسواء إن وجد هذا الكتاب قبولا واستحسانا ورواجا أم لم يجد، وكلها في نظري وتقديري واعتباري سيان ولا فرق، عسى أن يكون مصيره أفضل من مصير صرخة في واد ونفخه في رماد، وأفضل من مصير ما أفادته الأمثال بقولها: (لا كرامة لمفكر في وطنه، ومغنية الحي لا تطرب) وأفضل من مصير ما أنشده المتنبي العظيم ذات يوم بأبيات من شعره الأصيل وفنه الخالد كما يأتي:

أنا في أمة تداركها اللـه غريب كصالح في ثمود
ما مقامي بأرض نخلة إلا كمقام المسيح بين اليهود



ذكريات عراقية

أيام ومواقف







عمان - شارع الملك حسين - مجمع الفحيص التجاري

تلفاكس: ٠٠٩٦٢ ٦ ٤٦٤٧٥٥٠ خلوي: ٠٠٩٦٢ ٧٩ ٥٢٦٥٧٦٧

ص.ب: ٧١٢٧٧٣ عمان ١١١٧١ - الأردن

بغداد - شارع السعدون - عمارة فاطمة

تلفاكس: ٠٠٩٦٤ ١ ٨١٧٠٧٩٢ خلوي: ٠٠٩٦٤ ٧٧٠٥٨٥٥٦٠٣

E-mail: dardjlah@yahoo.com

www.dardjlah.com